مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكَّمة

الجزء 2

العدد
14

أكتوبر - ديسمبر
2024م

١٣٨
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية
د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية
أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية
د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية
د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا
أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر
أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب
د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر
أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. محمد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد بجامعة أم القرى
أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود
أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس
أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة
أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم
د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديدا؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلا من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلمي الأصيل، ومنهجيته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- كلمات مفتاحية لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- مقدمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمن النتائج والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقيا) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيا أو إلكترونيا، ويحق لها إدراجه في قواعد البيانات المحلية والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة – في أي وعاء من أوعية النشر – إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**البنى النحوية في كوكبة الخطب المنيفة بين الحجاج والإقناع، وأثره على المتلقين خطبتا الغيبة والنميمة أنموذجا** د. مرسل بن مسفر بن سعيدان آل فهاد	٩
٢)	**جزم المضارع بعد الطلب** د. عبد الرحمن بن عبد الله الخضيري	٦٧
٣)	**الظواهر اللغوية في قراءة عمرو بن دينار (ت ١٢٦هـ)** د. محمد بن حبيب الترجمي	١٠٩
٤)	**دلالة المصطلحات في معجم الطراز الأول لابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) -دراسة تحليلية في بابي الهمزة والباء** د. بدر بن عائد الكلبي	١٥٣
٥)	**من جذور التفكير البلاغي في رسالة الشافعي "قراءة وتحليل"** د. محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي	٢٤٣

م	البحث	الصفحة
٦)	**حديث القرآن عن نقائص الإنسان -دراسة بلاغية** د. وليد السيد مصطفى فرج د. بدرية سعيد معيض الوادعي	٢٩٣
٧)	**تلقي التراث الأدبي في مقدمات الاختيارات الشعرية المعاصرة** د. أحمد بن ماطر اليتيمي	٣٥٣
٨)	**الخطاب السردي في المجموعة القصصية الرجل الحائط دراسة إنشائية** د. مزنة بنت عبد الله بن عبد العزيز البهلال	٤١١
٩)	**الدرامية في ديوان هند أنثى بروح المطر دراسة إنشائية** د. سامي حسين علي القصوص	٤٥٥
١٠)	**التكنيك السردي في الرواية النسائية الإماراتية** د. سالم بن محمد بن سالم الضمادي	٤٩٩
١١)	**المخالفة بين المنطوق والمكتوب وتأثيرها على متعلمي العربية الناطقين بغيرها** د. إبراهيم انجاي	٥٥٧

حديث القرآن عن نقائص الإنسان
دراسة بلاغية

The Qur'anic Discourse on Human Defects: A Rhetorical Study

د. وليد السيد مصطفى فرج

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات فرع جامعة الأزهر بالمنصورة، بمصر

البريد الإلكتروني: dr.waleed2050@gmail.com

د. بدرية سعيد معيض الوادعي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في قسم أصول الدين كلية الشريعة بجامعة نجران

البريد الإلكتروني: elafsw@gmail.com

DOI:10.36046/2356-000-014-017

ملخص البحث

(حديث القرآن عن نقائص الإنسان دراسة بلاغية)

من أهم أهدافه:

١- التعرف على بلاغة تتابع الآيات الواردة في حديث القرآن عن نقائص الإنسان، وتآزرها في السياق القرآني.

٢- بيان بلاغة موقع الآيات الواردة في حديث القرآن عن نقائص الإنسان في سياق سورها الواردة فيها من خلال ربطها بالمقصود الأعظم للسورة.

٣- رصد أهم الخصائص البنائية، والأساليب البلاغية التي شاعت في حديث القرآن عن نقائص الإنسان مع بيان دورها الفاعل في أداء المعنى.

وكان المنهج المتبع فيه منهجا وصفيا تحليليا.

ومن أهم نتائجه التوصل إلى أن خطاب القرآن عن نقائص الإنسان كان مترابطا مشتملا على معايير النصية خصوصا السبك والحبك ومنها أيضا اتصاف هذا الخطاب ببراعة الاستهلال وحسن الختام، وتكرار مفيد لعدة ألفاظ وعدة معان، وعدة قوالب بنائية وأنماط تعبيرية، وبلاغة موقع كل آية من آيات هذا الخطاب وارتباطها بالمقصود الأعظم من السورة الواردة فيها

وجاء في مبحثين مسبوقين بمقدمة متبوعين بخاتمة وثبت لأهم المصادر والمراجع.

وتضمنت المقدمة أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه وأسئلته، والدراسات السابقة، وحدود البحث ومنهجه وخطته.

وجاء المبحث الأول بعنوان: بلاغة تتابع الآيات المشتملة على نقائص الإنسان وتآزرها في السياق القرآني.

وجاء المبحث الثاني بعنوان: مقامات ذكر نقائص الإنسان في القرآن بين بلاغة الموقع، ودقة الصياغة.

ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

وختم البحث بثبت لأهم مصادره ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: القرآن- الإعجاز- البلاغة- النقائص- الموقع- الترابط- السبك- الحبك

Abstract

The study aims to identify the rhetoric of the succession of verses in the Qur'anic discourse on human flaws, and their interconnectedness in the Qur'anic context**.**

The rhetoric of the places of the verses contained in the Qur'anic discourse on human flaws in the context of the surahs in which they are contained by linking them to the main purpose of the surah**.**

To identify the most important structural features and rhetorical techniques that abound in the Qur'anic discourse on human imperfections, while explaining their influential role in the performance of the meaning**.**

The research adopted a descriptive and analytical approach**.**

One of the most important findings is the Qur'anic discourse on human flaws is interconnected and included textual criteria, especially cohesion and coherence. This discourse is also characterized by the ingenuity of opening and closing, useful repetition of several words and several meanings, several structural templates and expression patterns, and the eloquence of the places of each of the verses of this discourse and its connection to the main purpose of the surah in which it is contained

The research is divided into two sections, preceded by an introduction, followed by a conclusion and a list of sources and references**.**

The introduction included the reasons for choosing the topic, its importance, objectives, questions, previous studies, research limitations, methodology, and plan**.**

The title of the first section: The eloquence and interconnectedness of the verses containing human flaws**.**

The title of the second section: Positions of human flaws in the Qur'an.

Between the eloquence of the location and the accuracy of the wording**.**

The conclusion includes the most important results and concludes the research with a list of sources and references**.**

Keywords: Qur'an - miracles - rhetoric - human flaws - place – coherence.

مقدمة

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿ولقد كرمنا بنى ءادم وحملنهم فى ٱلبر وٱلبحر ورزقنهم من ٱلطيبت وفضلنهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]﴿ والصلاة والسلام على نبي الهدى، الذي مدحه ربه بقوله: ﴿وَإِنك لعلى خلق عظيم ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الله قد كرم الإنسان، وفضله على كثير من خلقه، وأنعم عليه بنعم لا يحيط بها العد ولا تنقاد للإحصاء، وحمله الأمانة، وركب فيه من الصفات والملكات ما يعينه على أداء رسالته، وركب فيه أيضا من الصفات ما يجعل اختباره صعبا، تلك هي صفات النقص التي جبل عليها الإنسان، ولا خلاص له منها إلا بالالتجاء إلى الله، واتباع منهجه.

ولذا فقد عمدت إلى تلك النقائص لجمع الآيات التي وردت فيها ودراستها دراسة بلاغية فكان هذا البحث بعنوان: (حديث القرآن عن نقائص الإنسان دراسة بلاغية).

أسباب اختيار الموضوع

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع رغبتي الملحة في خوض غمار ذلك المحيط الزاخر، محيط البلاغة القرآنية من خلال تبيان وجه جليل من وجوه إعجازه، يمكن تسميته بالبلاغة الموضوعية، حيث تتآزر الآيات التي تشتمل موضوعا واحدا، وتشكل نصا متلاحم الأجزاء متسلسلا تسلسلا منطقيا عجيبا.

بالإضافة إلى ما لمسته –عند معاودة تلاوتي للقرآن مرة بعد مرة– من تكرار بعض الصفات الإنسانية المذمومة في مقامات مختلفة، وفي قوالب وأنماط بعينها، فأردت أن أميط اللثام عن الأسرار البلاغية والخصائص التركيبية التي غلبت على

حديث القرآن عن نقائص الإنسان.

أهمية البحث

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه، يعد مساهمة –يرجى لها أن تكون نافعة– في مجال الدراسات البلاغية لأسلوب القرآن الكريم، كما يعد وثيقة تسهم في تقويم السلوك البشري ببيان نقائص الإنسان المذمومة، وكيفية التعبير عنها بطرق تنفر منها وتدعو إلى تجنبها، وتحث على الاستمساك بالمنهج الرباني في سياسة النفس، وتطهيرها من نقائصها، مما يكون له الأثر في الارتقاء بالفرد، ثم بالمجتمع المسلم.

أهداف البحث وأسئلته

يهدف هذا البحث إلى:

التعرف على بلاغة تتابع الآيات الواردة في حديث القرآن عن نقائص الإنسان، وتآزرها في السياق القرآني.

تلمس العلاقات الحسية الظاهرية للصياغة القرآنية المفضية إلى تلمس العلاقات الروحية بين أجزاء النص القرآني.

بيان بلاغة موقع الآيات الواردة في حديث القرآن عن نقائص الإنسان في سياق سورها الواردة فيها من خلال ربطها بالمقصود الأعظم للسورة.

رصد أهم الخصائص البنائية، والسمات التركيبية، والأنماط التعبيرية، والأساليب البلاغية التي شاعت في حديث القرآن عن نقائص الإنسان مع بيان دورها الفاعل في أداء المعنى، وإحداث الأثر.

والبحث إذ يسعى إلى تحقيق تلك الأهداف، فإنه يحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل توفرت معايير النصية –على اختلافها– في حديث القرآن عن نقائص الإنسان؟

- ما مظاهر تلاحم حديث القرآن عن نقائص الإنسان، وترابطها وتسلسله تسلسلا منطقيا في السياق القرآني؟
- هل لتتابع آيات حديث القرآن عن نقائص الإنسان، بلاغة؟
- هل أدت آيات ذلك الحديث دورا في سياق السور الواردة فيها، فاتسمت ببلاغة الموقع؟
- ما أبرز القوالب التركيبية والأنماط التعبيرية والأساليب البلاغية والصور البيانية التي غلبت على حديث القرآن عن نقائص الإنسان، وما الأدوار التي قامت بها؟

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تناولت الإنسان في القرآن الكريم، إلا أنها جميعا –على اختلاف مشاربها وتنوع توجهاتها– لم تتعرض للدراسة البلاغية لحديث القرآن عن نقائص الإنسان، فضلا عن تعرضها لتلاحم الحديث وترابطه واتساقه وانسجامه، ومن تلك الدراسات:

١– الإنسان في القرآن الكريم خلقه صفاته أفعاله دراسة دلالية للباحث محمد عجيلة، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة ع٤٣، ٢٠٠٨م.

وواضح من عنوانها أنها دراسة لغوية تهتم بنظريتي الحقول الدلالية والعلاقات الدلالية، ولم تتعرض لأي ظاهرة بلاغية، بالإضافة إلى عموميتها فلم تهتم بالنقائص فقط بل تجاوزتها إلى جميع ما يتعلق بالإنسان، من خلق وصفات وأفعال.

٢– الصفات الفردية للإنسان في القرآن الكريم دراسة موضوعية، للباحث حسين حاتم، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ع٤٧، ٢٠١٦م.

وهذه دراسة موضوعية لم تتعرض مطلقا لأي أسلوب بلاغي في حديث القرآن

عن الإنسان، وغاية ما تقوم به هو تعريف الصفة لغة واصطلاحا وبيان أسبابها الداخلية والخارجية وإيضاح بعض مظاهرها مع بيان أثرها في المجتمع وغير ذلك مما يبعد تماما عن الدراسة البلاغية البيانية.

٣- تهذيب القرآن لصفات النقص الجبلية في الإنسان دراسة موضوعية، للباحث سلطان العنزي، بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، مج١٤، ع٢٠، ٢٠٢٠م.

فهذا بحث من البحوث الموضوعية لم يتعرض للأساليب البلاغية أو الأنماط التعبيرية التي غلبت على حديث القرآن عن نقائص الإنسان، فقد تتبع الباحث تلك الصفات، فعرف بها، وذكر الآيات الواردة فيها، كما بين آراء المفسرين في المراد بتلك الصفة، ولم كانت صفة نقص في الإنسان، وهل مجرد اتصاف الإنسان بها يعد ذما؟ ثم انتقل إلى بيان كيفية تهذيب القرآن لتلك الصفات.

٤-صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية، للباحث: د. إبراهيم بن محمد العيسى، بحث منشور في مجلة كلية التربية، بجامعة أسيوط، مج٣٥، ع١، ٢٠١٩م.

فهذا بحث تربوي، يعالج صفات الإنسان من وجهة نظر التربويين،، ولا يتعرض للدراسة اللغوية عموما، أو الدراسة البلاغية خصوصا.

حدود البحث

يدور هذا البحث في نطاق الآيات القرآنية التي تشتمل نقيصة من نقائص الإنسان، وربما يتطرق إلى بعض الآيات التي ترتبط بهذا الحديث نوع ارتباط.

منهج البحث

وكان المنهج المتبع في هذا البحث منهجا وصفيا تحليليا.

خطة البحث

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين مسبوقين بمقدمة، متبوعين بخاتمة وثبت بأهم المصادر والمراجع.

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه وأسئلته، والدراسات السابقة، وحدود البحث ومنهجه وخطته.

وأما المبحث الأول فقد كان تحت عنوان: بلاغة تتابع الآيات المشتملة على نقائص الإنسان وتآزرها في السياق القرآني.

وأما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: مقامات ذكر نقائص الإنسان في القرآن بين بلاغة الموقع، ودقة الصياغة.

ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

وختم البحث بثبت لأهم مصادره ومراجعه.

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: بلاغة تتابع الآيات المشتملة على نقائص الإنسان وتآزرها في السياق القرآني

من عجيب أمر القرآن، ومما هو خليق بأن يستأثر بعناية الدارسين لكونه وجها من الوجوه البديعة لإعجازه وبلاغته العالية، ما يلمحه الدارس المتدبر من تلاحم عجيب وتآزر وتعاضد بين الآيات التي تشتمل على موضوع واحد –على اختلاف مواضعها–، وكذلك ما يلمسه المتأمل من تسلسل منطقي يتمثل في بناء ثان على أول، وإيضاح بعد إبهام، وتفصيل بعد إجمال، وتأكيد بعد إرسال وإيجاز بعد إطناب، ورجوع بعد استطراد، واكتمال للمعنى في اللاحق بعد أن كان جنينا في السابق، وإجابة عن أسئلة يثيرها بعض الكلام في أذهان المتلقين، وذلك على حسب التتابع في سياق المصحف، وربما على حسب تتابع النزول.

فيمكن –من غير تكلف– أن تجعل هذه الآيات نصا واحدا تتحقق فيه جميع معايير النصية من سبك وحبك وغيرها[1]، وكأنها صيغت –من أول أمرها– في هذا الشكل، وصبت –من أول وجودها– في هذا القالب.

ودراسة الآيات المشتملة على موضوع واحد، ثمرة ألقى بذرتها –في تربة البحث العلمي المنهجي– الشيخ أمين الخولي تنظيرا وتلامذته –من بعده– تطبيقا[2].

---

(١) كالقصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص، ينظر: مصلوح، سعد، "في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة". (ط١، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، ٢٠٠٣م) ٢٢٦.

(٢) أشار الشيخ أمين الخولي في كتابه "مناهج تجديد" إلى ضرورة أن يفسر القرآن موضوعا، موضوعا وأن تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد، جمعا إحصائيا مستقصيا ويعرف ترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم، فيكون ذلك =

بيد أن الذي يعنيه هذا المبحث ليس مجرد الدراسة البلاغية لآيات مشتملة على موضوع واحد، وإنما الافتراض بأن هذه الآيات لو سلكت في سلك واحد بعيدا عن علاقاتها داخل سورها الواردة فيها، فإنها وعلى الرغم من هذا ستكون متسمة بالبلاغة والإعجاز، وكذلك لو أعيد ترتيبها بطريقة غير التي وردت في تسلسل السياق القرآني لحدث خلل في ترابطها وتآزرها، ولفسد المعنى المبتغى من وراء بنائها، وذاك وجه دقيق من وجوه الإعجاز.

ذلك الوجه الذي يتجلى بوضوح في حديث القرآن عن نقائص الإنسان، ومن أهم الدلائل على ذلك ما يلمسه المتأمل من براعة استهلال ذلك الحديث مع حسن ختام له، هذان الوجهان البلاغيان اللذان يقطعان بجودة السبك وروعة البناء.

وبيان ذلك: أن أول آية وردت في القرآن مشتملة على صفة من صفات النقص مقترنة بذكر الإنسان قد كانت في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿يريد ٱلله أن يخفف عنكم وخلق ٱلإنسن ضعيفا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]. «أي خلق الله تعالى الإنسان والضعف ملازم له، وليس الضعف المذكور هو الضعف البدني فقط، بل يشمل الضعف النفسي، فالتكليفات يلاحظ فيها ذلك الضعف، ولذلك كانت كل التكليفات يسهل تعويد النفس عليها، ولا يصعب احتمالها والمداومة عليها»(١).

=

التفسير أهدى إلى المعنى، وأوثق في تحديده. ينظر أمين الخولي، "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب". (ط١، دار المعرفة، ١٩٦١م)، ١: ٣٠٦.

ثم جاء – من بعده– بعض تلامذته كالدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ لتطبيق منهج التفسير الأدبي للقرآن وقد صرحت بهذا في مقدمة كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم"، ينظر عائشة عبد الرحمن، "التفسير البياني". (ط٧، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م) ١: ١٣.

(١) أبو زهرة، "زهرة التفاسير". (دار الفكر العربي، د. ت)، ٣: ١٦٥٤.

وقيل: إن المقصود بالضعف العجز عن دفع النفس عن الشهوة، أو أنه راجع إلى أصل الخلقة لكونه من ماء مهين، أو أنه ضعيف العزم عن الهوى(١).

ووصف الإنسان بالضعف في هذه الآية المفتتحة لحديث القرآن عن نقائص الإنسان، يكون باعتبارات مختلفة منها اعتباره بالملأ الأعلى، أو باعتباره بنفسه دون ما يقويه من العون الإلاهي، أو اعتبارا بافتقاره إلى غيره لكثرة حاجاته، أو اعتبارا بمبدئه ومنتهاه، أما إذا اعتبر بعقله وما ركب الله فيه من قوى تعينه على أداء التكاليف وإحسان الخلافة في الأرض، فهو حينئذ أقوى الأقوياء(٢).

والمهم أن هذه الآية قد اشتملت على أصلين عظيمين وهما: أن الله قد أراد التخفيف عن عباده، وأن الإنسان مخلوق ضعيف على العموم من غير نظر إلى خصوصية الآية.

وكون الضعف عاما في هذه الآية يجعل المعنى مبهما أو مجملا فتأتي الآيات المشتملات على نقائص الإنسان بعد ذلك في السياق القرآني لبيان ذلك الإبهام، ولتفصيل ذلك الإجمال، فيتحقق في هذه الآية ما يسميه البلاغيون بحسن الابتداء وبراعة الاستهلال(٣)، حيث جاء ذكر ضعف الإنسان فيها مناسبا للمقصود من

(١) ينظر تفسير البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) ١: ٦٠٢؛ وينظر صديق خان القنوجي،"فتح البيان في مقاصد القرآن". تحقيق: عبد الله الأنصاري، (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، ٣: ٩٢.

(٢) ينظر الراغب الأصفهاني، "تفسير الراغب الأصفهاني". تحقيق: عادل بن علي الشدي، (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م)، ٣: ١٢٠١.

(٣) هي أن يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة، والحق أنها من المحسنات البديعية، ولهذا يذكرها فيها كثير من العلماء، ينظر الشيخ عبد المتعال =

تعداد نقائصه، فكل نقيصة تذكر بعد ذلك مردها إلى الضعف.

ومن دقائق التعبير في هذه الآية حذف متعلق الفعل[١] (يخفف)، حيث أفاد حذفه العموم فغدا التخفيف سنة إلهية وفضلا من الله على الإنسان.

ومن دقائق التعبير –أيضا– مجيء لفظ (ضعيفا) منتصبا على الحالية، وذلك لدلالته على ملازمة الضعف للإنسان في جميع أحواله لولا أن يتغمده الله برحمته، فيعينه ويقويه بما شرع له من أحكام، وسهل له من التكليفات.

وقيل: إن هذا اللفظ صفة انتصبت بالفعل بعد أن حذف موصوفها أي بنزع الخافض، والتقدير وخلق الإنسان من شيء ضعيف[٢]، وهذا الرأي –وإن كان محتملا– إلا أنه يضيق دائرة المعنى، حيث يجعل الضعف خاصا بأصل الخلقة، ولذا فإني أرجح الانتصاب على الحالية لدلالته على العموم، ولتآزره مع العموم الناجم عن حذف المفعول به في الجملة قبله.

ومن الدقائق التعبيرية كذلك التعبير بالفعل المضارع (يريد) عن الفعل الماضي أراد فإرادة الله قديمة، وذلك لوقوعه على التخفيف الذي يتجدد بتجدد التكليفات وما يصحبها من رخص وتيسيرات.

ثم إن الأصل في التخفيف أن يكون في الأجسام الثقيلة، ويكون في التكاليف برفع

=

الصعيدي، "بغية الإيضاح". (مكتبة الآداب، ١٩٩٩م)، ٤: ١٣٤.

(١) ينظر السمين الحلبي، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق د. أحمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د. ت)، ٣: ٦٦٢.

(٢) ينظر العكبري، "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت)، ١:٣٥٠.

مشاقها فالأول حسي والثاني معنوي[1] ولذا فيمكن أن يكون في التعبير استعارة تصريحية شبه فيها تيسير الأحكام وتسهيلها، بتخفيف أثقال الأجسام بجامع إزالة المشقة في كل، ثم حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وقد عملت هذه الاستعارة على تجسيم المعنى تقريبا له إلى أذهان المخاطبين.

وليس بخاف ما في بناء الفعل للمجهول في قوله: وخلق الإنسان من دلالة على أن العناية منصرفة إلى بيان عجز الإنسان وقلة حيلته فهو المخلوق الضعيف الذي لا يملك من أمره شيئا، إلا بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وليس الغرض بيان أن الله هو خالقه، فهذا معلوم غير منكر، هذا –مع ما في التركيب– من إيجاز واختصار واحتراز عن التكرار بلا طائل.

وجاءت الجملة ﴿وخلق ٱلإنسن ضعيفا﴾ تذييلا لما قبلها وبيانا لعلة التخفيف.

ولأن حديث القرآن عن نقائص الإنسان –فيما يفترض هذا البحث– حديث متصل مترابط الأجزاء متلاحمها، مثله كمثل النص الكامل المشتمل على بداية ونهاية وما بينهما من أجزاء ينبني بعضها على بعض ويفضي بعضها إلى بعض، فإنه لم يتسم بحسن الابتداء وبراعة الاستهلال فحسب، ولكنه جمع إلى ذلك حسن ختام وبراعة مقطع[2]، وبيان ذلك: أن آخر آية ذكر فيها نقيصة من نقائص الإنسان، قد كانت تأكيدا لما سبقها وفذلكة له مع إضافتها شيئا جديدا يحسن به ختام الحديث عن تلك النقائص.

فآخر آية في القرآن تحدثت عن نقيصة من نقائص الإنسان، قد جاءت في سورة العاديات في قوله تعالى: ﴿إن ٱلإنسن لربهۦ لكنود ۝٦ وَإِنهۥ على ذلك

(١) ينظر أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". تحقيق صدقي جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ٣: ٦٠٧.

(٢) أن يكون الختام مؤذنا بالانتهاء. ينظر الصعيدي، "بغية الإيضاح". ٤: ١٣٩.

لشهيد ﴿٧﴾ وَإِنهۥ لحب ٱلخير لشديد ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٦ - ٨].

فبالإضافة إلى أن لفظ (كنود) من فرائد القرآن، وهذا مؤذن باضطلاعها بأمر جلل، فإن معانيها متعددة عند العرب فكل قبيلة تجعل لها معنى مختلفا، وإن كانت تدور في فلك النقائص ولا تبارحه فـ«الكنود: وصف من أمثلة المبالغة من كند ولغات العرب مختلفة في معناه فهو في لغة مضر وربيعة: الكفور بالنعمة، وبلغة كنانة: البخيل، وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي. والمعنى: لشديد الكفران لله»(١).

فأما عن تأكيدها لما سبقها من الصفات، فلأنها بمعنى الكفور وهذه الصفة الأخيرة قد تكررت –في حديث القرآن عن النقائص– مرارا ومن ذلك قوله تعالى في سورة هود: ﴿ولئن أذقنا ٱلإنسن منا رحمة ثم نزعنها منه إنهۥ ليوس كفور ﴿٩﴾﴾ [هود: ٩].

وأيضا في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿وَإِذا مسكم ٱلضر فى ٱلبحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجىكم إلى ٱلبر أعرضتم وكان ٱلإنسن كفورا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

وفي سورة الحج قوله تعالى: ﴿وهو ٱلذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن ٱلإنسن لكفور ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٦].

وفي سورة الشورى قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلنك عليهم حفيظا إن عليك إلا ٱلبلغ وَإِنا إذا أذقنا ٱلإنسن منا رحمة فرح بها وَإِن تصبهم سيئةٌۢ بما قدمت أيديهم فإن ٱلإنسن كفور ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٨].

وفي سورة الزخرف قوله تعالى: ﴿وجعلوا لهۥ من عبادهۦ جزءا إن ٱلإنسن لكفور مبين ﴿١٥﴾﴾ [الزخرف: ١٥].

(١) طاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ٣٠: ٥٠٢.

وفي سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿وءاتىكم من كل ما سألتموه وَإِن تعدوا نعمت ٱلله لا تحصوها إن ٱلإنسن لظلوم كفار ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فقد ورد لفظ (كفور) في غير موضع مقترنا بذكر الإنسان، فجاءت تلك الآية الأخيرة في حديث القرآن عن النقائص في سورة العاديات فذكرت المعنى نفسه وهو كفران النعم ولكن بلفظ أعم يشمل الكفران وغيره على حسب اختلاف لغات العرب، فمن هذا الوجه كان لفظ (كنود) تأكيدا لما سبقه من صفة (كفور).

وههنا سؤال تجدر الإجابة عنه لماذا عبر بلفظ (كنود) دون (كفور)، وما السر البلاغي والتعبيري وراء العدول عن اللفظ الذي تكرر مرارا إلى لفظ جديد جعل ختاما حسنا للحديث عن النقائص؟

فللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول: بالإضافة إلى ما سبق من كون هذا اللفظ تأكيدا لما سبقه من صفة (كفور) فإنه قد حمل معنى جديدا يلقي بتبعة إخفاق الإنسان –في مهمته التي أوكلت إليه في الأرض– على كتفيه وذلك أن لفظ (كنود) لفظ يدل على معنى القطع «الكاف والنون والدال أصل صحيح واحد يدل على القطع. يقال كند الحبل يكنده كندا. والكنود: الكفور للنعمة. وهو من الأول، لأنه يكند الشكر، أي يقطعه. ومن الباب: الأرض الكنود، وهي التي لا تنبت»[1].

فليس الإنسان –بهذا الوصف– قد كفر بالنعمة فحسب، بل إنه قطع الحبل الواصل بينه وبين ربه ذلك الحبل الذي يستمد من اتصاله وامتداده العون والقوة حتى يخرج من الوصف الأول وصف الضعف أول نقائصه.

ولذا فإن آخر الآيات التي تحدثت عن الإنسان وقد ألصقت به صفة أخرى

(١) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ٥: ١٤٠، مادة (ك ن د).

من صفات النقص وهي صفة الخسران ويمكن أن نجعلها ختاما لحديث القرآن عن النقائص إلا أن صفة (كنود) صفة جبلية، وتلك الصفة –صفة الخسران– صفة خارجية، تلك الآية في سورة والعصر في قوله تعالى: ﴿ٱلعصر ۝١ إن ٱلإنسن لفى خسر ۝٢ إلا ٱلذين ءامنوا وعملوا ٱلصلحت وتواصوا بٱلحق وتواصوا بٱلصبر ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

قد حكمت على الإنسان بالخسران إلا من آمن وعمل صالحا، فذلك هو طريق النجاة الأوحد، الإيمان وعمل الصالحات، هما اللذان يقويان الإنسان ويرفعان من شأنه ويعينانه على أداء رسالته في الأرض.

وكان حكمها عليه بهذا، قاطعا حاسما، حيث عرف الإنسان بـ(أل) ليفيد العموم، ثم جعله في خسر على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه سوء العاقبة بالخسر بجامع ما يترتب عليهما من ندم، وحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به، وقد أفادت هذه الاستعارة العمل على إثارة العقول وتحريك النفوس لعمل ما يؤدي إلى الربح، وذلك لما هو مركوز في الطباع من حب الربح وكراهية الخسارة.

وقد تكون الاستعارة مكنية بتشبيه الخسر بالظرف الذي يحيط بالمظروف، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو حرف الجر (في) الدال على الظرفية، وهذه الاستعارة تفيد الدلالة على شمول الخسران لجميع بني الإنسان إلا من آمن وعمل صالحا.

وكذلك تنكير لفظ (خسر) يدل على تعظيمه والتهويل من شأنه، حتى يتجنب السامع تلك الهوة المهلكة فلا تنزلق قدمه فيها.

وقد جاءت الجملة مؤكدة تأكيدا شديدا ب (إن) و (اللام) مما يدل على كون الخبر حقيقة يقينية لا جدال فيها.

بالإضافة إلى وقوعها جوابا للقسم، حيث كان المقسم به هو العصر، ولعل

السر وراء اصطفاء العصر ليكون مقسما به، هو أنه يدل على نهاية اليوم وفيه إشارة إلى قرب الآجال حتى يتهيأ كل سامع لاستدراك ما فاته قبل فوات الأوان.

وهذا التأكيد الوارد في آية إن الإنسان لفي خسر، قد جاء نظيره في آية ﴿إن ٱلإنسن لربهۦ لكنود ۝٦﴾ [العاديات: ٦].

فقد وقعت جوابا للقسم أيضا، مع اشتمالها على تأكيد شديد ب (إن واللام) مع تقديم المتعلق (لربه) ليدل على شناعة الجرم الذي يرتكبه الإنسان بقطع الحبل الواصل بينه وبين ربه الذي ينعم عليه ويعينه ويقويه.

فقد تضافرت عدة فنون بلاغية في هذه السورة من قسم في قوله تعالى: ﴿وٱلعدیت ضبحا ۝١ فٱلموریت قدحا ۝٢ فٱلمغیرت صبحا ۝٣ فأثرن بهۦ نقعا ۝٤ فوسطن بهۦ جمعا ۝٥﴾ [العاديات: ١ - ٥]. وتأكيد بإن واللام في قوله تعالى: ﴿إن ٱلإنسن لربهۦ لكنود ۝٦﴾، وتقديم للمتعلق (لربه)، واصطفاء للفظ (كنود) دون لفظ (كفور) لتؤكد حقيقة واحدة وهي أن الإنسان ظالم لنفسه لأنه حرمها مما يرتقي بها وتفضي هذه الآيات إلى آيات سورة العصر حيث تبين الأخيرة سوء مصير ذلك الإنسان الكنود، إلا من آمن وعمل صالحا، فبهذا فقط تكون النجاة ويتحقق الفلاح.

وبهذا الإفضاء –وبغيره من وسائل تعبيرية– يتجلى ما افترضه البحث من تلاحم شديد وتآزر عجيب بين جميع الآيات التي تحدثت عن نقائص الإنسان.

ولتأكيد –ما افترضه البحث من ترابط حديث القرآن عن نقائص الإنسان– فسوف أستعرض في عجالة تلك الآيات على حسب ترتيبها في السياق القرآني، متلمسا بعض الوشائج والأواصر التي تربط بينها حتى يتجلى مدى تماسكها النصي.

ومن العجيب أن الآية التي وردت بعد آية نقيصة الضعف قد بينت ما يكون من الإنسان عندما يمسه الضر، وأنه يلتجئ إلى الله متضرعا مستنجدا، ثم بمجرد أن ينعم الله عليه بكشف ضره، فإنه ينكر ذلك الفضل من الله وكأنه لم يصب بضر

تضرع إلى الله أن يكشفه ولذلك فقد وصفت الآية في آخرها هذا الفعل بأنه تزيين لأعمال المسرفين قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِذا مس ٱلإنسن ٱلضر دعانا لجنۢبهۦٓ أو قاعدا أو قايما فلما كشفنا عنه ضرهۥ مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسهۥ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢].

ثم تأتي آية في سورة هود لتذكر حالا أخرى من حالات الإنسان وهي أن ينعم الله عليه بنعمة، ثم ينزعها منه، فما يكون من الإنسان حينئذ إلا اليأس والكفران قال تعالى: ﴿ولين أذقنا ٱلإنسن منا رحمة ثم نزعنها منه إنهۥ ليوس كفور ﴿٩﴾﴾ [هود: ٩].

ثم تأتي آية في سورة إبراهيم ترتبط بهاتين الآيتين السابقتين فتذكر أن الله قد أعطى الإنسان من كل ما سأل فإن سأله كشف الضر كما في الآية الأولى فإنه أعطاه هذا، وتذكر أيضا أن الله أعطاه الكثير من النعم وهذا يرتبط بالآية الثانية التي ذكرت يأس الإنسان وكفرانه بعد نزع النعمة منه، وكأنها تشير إلى غفلة الإنسان عن جميع النعم التي يرفل فيها ولا ينتبه إلا إلى المنزوعة منه ولذا فقد وصفته الآية حاكمة عليه بكونه ظلوما كفارا قال تعالى: ﴿وءاتىكم من كل ما سألتموه وَإِن تعدوا نعمت ٱلله لا تحصوها إن ٱلإنسن لظلوم كفار ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فنلحظ نقيصة جديدة تنضاف إلى نقائص الضعف والإسراف واليأس والكفران، وهي نقيصة الظلم الشديد في لفظ ظلوم، ونلحظ ارتقاء في الدلالة على نقيصة الكفران فلم تأت كسابقتها بصيغة فعول، ولكنها جاءت ههنا بصيغة فعال في قوله: كفار لما لهذه الصيغة من دلالة على شدة المبالغة، نظرا إلى ما فيها من تضعيف.

ثم تأتي آيتان ضمن حديث القرآن عن نقائص الإنسان تذكران أصل خلقته من صلصال من حمأ مسنون، ثم من نطفة وتشيران إلى هوان وضعة هذا الأصل، وذلك أن هذا الطور هو «آخر أطوار آدم الطينية. وأول ابتدائه أنه كان ترابا متفرق الأجزاء ثم بل فصار طينا ثم أنتن وأسود فصار حمأ مسنونا أي متغيرا ثم يبس فصار صلصالا،

وعلى هذه الأطوار والأحوال تتخرج الآيات الواردة في أطواره»[1].

وتذكر الثانية منهما أنه على الرغم من هذا فإنه يتسم بنقيصة أخرى وهي المخاصمة لربه فبدلا من الإقرار بالنعم والعمل على شكرها فإنه يجادل ويخاصم قال تعالى في سورة الحجر ﴿ولقد خلقنا ٱلإنسن من صلصل من حمإ مسنون ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: ٢٦].

وقال في سورة النحل: ﴿خلق ٱلإنسن من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٤﴾﴾ [النحل: ٤].

ثم تأتي آية في سورة الإسراء لتضيف نقيصة أخرى وهي نقيصة العجلة الدالة على الرعونة والمؤدية إلى التردي في المهالك قال تعالى: ﴿ويدع ٱلإنسن بٱلشر دعاءهۥ بٱلخير وكان ٱلإنسن عجولا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١].

ثم تأتي آية بعدها في السورة نفسها، تنظر إلى آيتي سورة يونس وهود معا، وتبني على ما ورد فيهما وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذا مسكم ٱلضر فى ٱلبحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجىكم إلى ٱلبر أعرضتم وكان ٱلإنسن كفورا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

وذلك أنها قد افتتحت بالخطاب في قوله: ﴿وَإِذا مسكم ٱلضر فى ٱلبحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجىكم إلى ٱلبر أعرضتم ﴿٦٧﴾﴾ بناء على ما سبق تقريره في سورة يونس من كون هذا المعنى حقيقة واقعة عامة تشمل جميع جنس الإنسان ﴿وَإِذا مس ٱلإنسن ٱلضر دعانا لجنۢبهۦٓ أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضرهۥ مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسهۥ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢].

وكأن آية الإسراء تلجئ المخاطبين إلى الإقرار بهذه الحقيقة الواردة في آية يونس وتشهدهم على أنفسهم.

(١) القنوجي، "فتح البيان". ٧: ١٦٢.

ثم إن آية الإسراء قد ختمت بقوله: ﴿وكان ٱلإنسن كفورا﴾.

وهذا يحيل إلى آية هود التي ذكرت نقيصتي اليأس والكفران في قوله تعالى: ﴿ولئن أذقنا ٱلإنسن منا رحمة ثم نزعنها منه إنهۥ ليـوس كفور﴾.

كما تحيل آية أخرى في سورة الإسراء إلى صفة اليأس في هذه الآية من سورة هود وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذا أنعمنا على ٱلإنسن أعرض ونـا بجانبهۦ وَإِذا مسه ٱلشر كان يـوسا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣].

ثم تأتي آية أخرى في سورة الإسراء لتضيف نقيصة جديدة وهي (قتور) وذلك في قوله تعالى: ﴿قل لو أنتم تملكون خزاين رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية ٱلإنفاق وكان ٱلإنسن قتورا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠].

فنلحظ أن سورة الإسراء –وحدها– قد شملت أربع نقائص من نقائص الإنسان (عجول، يئوس كفور قتور)، وكلها قد جاءت في بناء واحد وهو بناء الجملة المفتتحة بالفعل الماضي (كان)

ثم تأتي آية في سورة الكهف لتضيف نقيصة جديدة وهي نقيصة الجدل وذلك في قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا فى هـذا ٱلقرءان للناس من كل مثل وكان ٱلإنسن أكثر شىء جدلا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤].

في الوقت الذي تذكر فيه آية سورة مريم الإنسان بهوان أصل خلقته في قوله تعالى: ﴿ويقول ٱلإنسن أءذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴿٦٦﴾ أو لا يذكر ٱلإنسن أنا خلقنـه من قبل ولم يك شيـا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٦ - ٦٧].

كما تؤكد آية سورة الأنبياء على نقيصة العجلة المذكورة سابقا في سورة الإسراء وذلك في قوله تعالى: ﴿خلق ٱلإنسن من عجل سأوريكم ءايتى فلا

تستعجلون ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧].

ثم تكرر آية سورة الحج ذكر نقيصة الكفران مع تغيير يسير في الصياغة يتواءم مع السياق وذلك في قوله تعالى: ﴿وهو ٱلذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن ٱلإنسن لكفور ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٦].

ثم تأتي آيات في سورة المؤمنون لتفصل ما أجمل سابقا من مراحل خلق الإنسان تذكيرا له بأصل خلقته، وامتنانا عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا ٱلإنسن من سللة من طين ﴿١٢﴾ ثم جعلنه نطفة فى قرار مكين ﴿١٣﴾ ثم خلقنا ٱلنطفة علقة فخلقنا ٱلعلقة مضغة فخلقنا ٱلمضغة عظما فكسونا ٱلعظم لحما ثم أنشأنه خلقا ءاخر فتبارك ٱلله أحسن ٱلخلقين ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وتأتي –بعدها– آيات في سورة السجدة لتؤكد أحسنية الخلق، وتذكر معنى قلة الشكر وهو ما يتوافق مع نقيصة الكفران المذكورة آنفا وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلذى أحسن كل شىء خلقهۥ وبدأ خلق ٱلإنسن من طين ﴿٧﴾ ثم جعل نسلهۥ من سللة من ماء مهين ﴿٨﴾ ثم سوىه ونفخ فيه من روحهۦ وجعل لكم ٱلسمع وٱلأبصر وٱلأفـدة قليلا ما تشكرون ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

ثم تأتي آية في سورة الأحزاب تؤكد نقيصة (ظلوم) المذكورة آنفا في سورة إبراهيم، وتضيف نقيصة جديدة وهي نقيصة الجهل (جهول) مع ملاحظة أن الصياغة في هذه الآية تحيل إلى سابقتها وذلك في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا ٱلأمانة على ٱلسموت وٱلأرْض وٱلجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها ٱلإنسن إنهۥ كان ظلوما جهولا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ثم تأتي آية في سورة يس تكرر وصف الإنسان بأنه خصيم مبين، محيلة إلى آية

النحل وذلك في قوله تعالى: ﴿أولم ير ٱلإنسن أنا خلقنه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧٧].

فلعل المراد بالرؤية الرؤية العلمية ومعنى هذا أن الإنسان يتجاهل ما أعلمناه به من أصل خلقته ويصر على خصومته.

ثم تأتي آية سورة الزمر لتبين معنى (كفور) ولتعدد مظاهره من اتخاذ الأنداد والإضلال عن سبيل الله، ولتذكر الجزاء على الكفر وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإذا مس ٱلإنسن ضر دعا ربهۥ منيبا إليه ثم إذا خولهۥ نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيلهۦ قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحب ٱلنار ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨].

وآية أخرى في سورة الزمر، تبين مظهرا آخر من مظاهر الكفران وهو عزو النعم التي يتقلب فيها إلى ملكاته الشخصية وذلك في قوله تعالى: ﴿فإذا مس ٱلإنسن ضر دعانا ثم إذا خولنه نعمة منا قال إنما أوتيتهۥ على علمٍ بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر: ٤٩].

وتأتي آيات في سورة فصلت لتضيف نقيصة جديدة (قنوط) مع تأكيدها نقيصة سابقة (يئوس) وتفصيلها لأخرى (كفور) وذلك في قوله تعالى: ﴿لا يسم ٱلإنسن من دعاء ٱلخير وَإن مسه ٱلشر فيوس قنوط ﴿٤٩﴾ ولئن أذقنه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن ٱلساعة قايمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عندهۥ للحسنى فلننبئن ٱلذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴿٥٠﴾ وَإذا أنعمنا على ٱلإنسن أعرض ونا بجانبهۦ وَإذا مسه

ٱلشر فذو دعاء عريض ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٤٩ - ٥١].

ثم تكرر سورة الشورى نقيصة (كفور) في صياغة مختلفة متلائمة مع سياقها وذلك في قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلنك عليهم حفيظا إن عليك إلا ٱلبلغ وَإِنا إذا أذقنا ٱلإنسن منا رحمة فرح بها وَإِن تصبهم سيئةٌ بما قدمت أيديهم فإن ٱلإنسن كفور ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٨].

وترتقي سورة الزخرف درجة في سلم التشديد على وصف الإنسان بصفة (كفور) حيث تؤكدها بالوصف (مبين) استجابة للمقام ومواءمة للسياق في قوله تعالى: ﴿وجعلوا لهۥ من عبادهۦ جزءا إن ٱلإنسن لكفور مبين ﴿١٥﴾﴾ [الزخرف: ١٥].

وتذكر سورة الرحمن مرحلة من مراحل خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿خلق ٱلإنسن من صلصل كٱلفخار ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن: ١٤].

وتستعمل سورة المعارج عدة ألفاظ جديدة –وإن كانت معانيها قد مرت– لوصف الإنسان بعدد من النقائص، مع بيان طريق الارتقاء وهو الصلة بين العبد وربه من خلال الصلاة وغيرها من صالح الأعمال وذلك في قوله تعالى: ﴿إن ٱلإنسن خلق هلوعا ﴿١٩﴾ إذا مسه ٱلشر جزوعا ﴿٢٠﴾ وَإِذا مسه ٱلخير منوعا ﴿٢١﴾ إلا ٱلمصلين ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢].

هذا كله في عبارات موجزة ذات دلالات مكثفة، وفيها توطئة وتهيئة لآخر الحديث عن نقائص الإنسان في سورة العصر.

ثم تأتي سورة القيامة لتذكر الإنسان بأصل خلقته وأنه محاسب على أعماله بعد البعث في قوله تعالى: ﴿أيحسب ٱلإنسن أن يترك سدى ﴿٣٦﴾ ألم يك نطفة من منى يمنى ﴿٣٧﴾ ثم كان علقة فخلق فسوى ﴿٣٨﴾ فجعل منه ٱلزوجين ٱلذكر وٱلأنثى ﴿٣٩﴾

أليس ذلك بقدر على أن يحى ٱلموتى ﴿٤٠﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

ثم تأتي سورة الإنسان لتذكر صفة (كفور) على أساس كونها أحد الطريقين الذين هدي الإنسان إليهما وعليه الاختيار بين أحدهما، وذلك بعد تذكيره بأصل خلقته وذلك في قوله تعالى: ﴿هل أتى على ٱلإنسن حين من ٱلدهر لم يكن شيا مذكورا ﴿١﴾ إنا خلقنا ٱلإنسن من نطفة أمشاج نبتليه فجعلنه سميعا بصيرا ﴿٢﴾ إنا هدينه ٱلسبيل إما شاكرا وَإما كفورا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ١ - ٣].

ثم تأتي سورة عبس لتبين أن أكثر الناس قد سلكوا طريق الكفران، ولذا فإنها تذم ذلك الإنسان الكافر ثم تذكره بأصل خلقه، وتهدده بيوم الحساب، وذلك في قوله تعالى: ﴿قتل ٱلإنسن ما أكفره ﴿١٧﴾ من أى شىء خلقه ﴿١٨﴾ من نطفة خلقه فقدره ﴿١٩﴾ ثم ٱلسبيل يسره ﴿٢٠﴾ ثم أماته فأقبره ﴿٢١﴾ ثم إذا شاء أنشره ﴿٢٢﴾ كلا لما يقض ما أمره ﴿٢٣﴾ فلينظر ٱلإنسن إلى طعامه ﴿٢٤﴾﴾ [عبس: ١٧ - ٢٤].

ثم يتوجه الخطاب القرآني في سورة الانفطار بعد كل ما سبق إلى مناداة الإنسان ومخاطبته وسؤاله عن الذي دفعه إلى ما هو عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿يأيها ٱلإنسن ما غرك بربك ٱلكريم ﴿٦﴾ ٱلذى خلقك فسوىك فعدلك ﴿٧﴾ فى أى صورة ما شاء ركبك ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

وكذلك في سورة الانشقاق في قوله تعالى: ﴿يأيها ٱلإنسن إنك كادح إلى ربك كدحا فملقيه ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ٦].

ثم تأتي سورة الطارق لتبين مرحلة من مراحل خلق الإنسان خلوصا إلى بيان القدرة على بعثه وذلك في قوله تعالى: ﴿فلينظر ٱلإنسن مم خلق ﴿٥﴾ خلق من ماء دافق ﴿٦﴾ يخرج من بين ٱلصلب وٱلترايب ﴿٧﴾ إنه على رجعه لقادر ﴿٨﴾﴾ [الطارق: ٥ - ٨].

ثم تأتي سورة البلد لتبين أن الإنسان قد كتبت عليه المشقة في حياته كلها وذلك في قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا ٱلإنسن فى كبد ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤].

ثم تأتي سورة التين مهيئة للنهاية، ذاكرة خلق الإنسان على أحسن صورة، وطريق نجاته، الذي يكون بالإيمان والعمل الصالح وذلك في قوله تعالى:

﴿لقد خلقنا ٱلإنسن فى أحسن تقويم ﴿٤﴾ ثم رددنه أسفل سفلين ﴿٥﴾ إلا ٱلذين ءامنوا وعملوا ٱلصلحت فلهم أجر غير ممنون ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤ - ٦].

ثم تأتي سورة العلق لتذكر خلق الإنسان من علق، كما تذكر تعليمه من قبل ربه، وهو مع ذلك يطغى وتلك نقيصة أخرى نقيصة الطغيان، قال تعالى: ﴿ٱقرأ بٱسم ربك ٱلذى خلق ﴿١﴾ خلق ٱلإنسن من علق ﴿٢﴾ ٱقرأ وربك ٱلأكرم ﴿٣﴾ ٱلذى علم بٱلقلم ﴿٤﴾ علم ٱلإنسن ما لم يعلم ﴿٥﴾ كلا إن ٱلإنسن ليطغى ﴿٦﴾ أن رءاه ٱستغنى ﴿٧﴾﴾ [العلق: ١ - ٧].

ثم يأتي ختام حديث القرآن عن نقائص الإنسان في سورة العاديات، مؤكدا على صفة (كفور) مضيفا إليها معنى جديدا –كما مر– وذلك في قوله تعالى: ﴿إن ٱلإنسن لربهۦ لكنود ﴿٦﴾ وَإِنهۥ على ذلك لشهيد ﴿٧﴾ وَإِنهۥ لحب ٱلخير لشديد ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٦ - ٨].

وتتلوها سورة العصر حاكمة على بني الإنسان بالخسران إلا من آمن وعمل صالحا فكانت خير ختام لحديث القرآن عن نقائص الإنسان قال تعالى: ﴿وٱلعصر ﴿١﴾ إن ٱلإنسن لفى خسر ﴿٢﴾ إلا ٱلذين ءامنوا وعملوا ٱلصلحت وتواصوا بٱلحق وتواصوا بٱلصبر ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣].

وبعد، فقد تبين من خلال هذا العرض الموجز للآيات التي تحدثت عن نقائص

الإنسان، أنها قد تلاحمت وترابطت ترابطا وثيقا، وأنها قد تحقق فيها التماسك النصي على مستوى الاتساق ومستوى الانسجام[١] على حد سواء، فقد اشتملت على أنواع من الإحالة، والتكرير الذي كثر كثرة ملحوظة خصوصا لنقيصة (كفور)، كما اشتملت على علاقات الإجمال والتفصيل على النحو الذي مر بيانه، وعلى بناء لاحق على سابق، وغير ذلك مما تم رصده من مظاهر الترابط، هذا كله في صياغة محكمة تتواءم مع السياق الواردة فيه.

وقد تكرر في هذا الحديث عدة ألفاظ وعدة معان، مع اختلاف يسير في الصياغة يؤدي إلى إثراء المعنى، وقد جعل الرافعي ذلك التكرار وجها جليلا من وجوه إعجاز القرآن فقال: «وههنا معنى دقيق في التحدي، ما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجبا: وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون من هذا الباب؛ وهو مذهب للعرب معروف... وقد خفي هذا المعنى (التكرار) على بعض الملحدة وأشباههم ومن لا نفاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأتي بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا إن هذا التكرار

(١) يتحقق الاتساق من خلال الترابط الشكلي السطحي والظاهري بينما يتحقق الانسجام بالعلاقات الخفية المعنوية الباطنية وكلاهما يحقق التماسك النصي ينظر محمد خطابي، "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م)، ١: ٥ وما بعدها.

ضعف وضيق من قوة وسعة، وهو –أخزاهم الله– كان أروع وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها»[1].

وقد قرر ضياء الدين ابن الأثير هذه الحقيقة فقال: «وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره؛ فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه؛ فانظر إلى سوابقه ولواحقه؛ لتنكشف لك الفائدة منه»[2].

(١) ينظر الرافعي، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية". (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م)، ١: ١٣٤ وما بعدها.

(٢) ابن الأثير، "المثل السائر". تحقيق محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ)، ٢: ١٤٩.

المبحث الثاني: مقامات ذكر نقائص الإنسان في القرآن بين بلاغة الموقع، ودقة الصياغة

إن المتأمل للآيات القرآنية التي ذكرت نقائص الإنسان، يجد أنها قد دارت في فلك أربع مقامات هي على النحو الآتي:

- مقام التكليف وبيان الأحكام.
- مقام ذكر موقف الإنسان في حالي الابتلاء والإنعام.
- مقام الدعوة إلى التوحيد والاحتجاج للبعث.
- مقام بيان أصل الخلق.

وإن كان هذا المقام الأخير –مقام بيان أصل الخلق– غالبا ما يصاحب غيره من المقامات، خصوصا مقام الدعوة إلى التوحيد والاحتجاج للبعث، لما في بيان أصل الخلق من برهان ساطع وحجة قاطعة على القدرة على البعث، ومن ثم الدلالة على أحقية القادر عليهما –الخلق، البعث– بإخلاص العبادة والتوحيد والإذعان له.

وسوف يحاول هذا المبحث تناول بعض تلك الآيات التي ذكرت نقائص الإنسان، مبرزا بلاغة موقعها في سياق السورة التي وردت فيها، مع تجلية دقائق صياغتها وأسرار بنائها وروعة تركيبها، وذلك بعد أن اضطلع المبحث السابق ببيان بلاغة ترابط جميع الآيات المشتملة على تلك النقائص، وأسرار ترتيبها، وما توافر فيها من معايير النصية التي جعلت منها نصا مترابطا متلاحم الأجزاء، وذاك وجه جليل من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

بلاغة آيات ذكر النقائص في مقام التكليف وبيان الأحكام:

ومن الآيات التي ذكرت نقيصة من نقائص الإنسان في مقام التكليف وبيان الأحكام قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يريد ٱلله أن يخفف عنكم وخلق ٱلإنسن

ضعيفا ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٨].

فقد مر أن هذه الآية قد كانت أول آية من آيات حديث القرآن عن نقائص الإنسان، وأنها مثلت براعة استهلال لهذا الحديث، لاشتمالها على ما يناسب المقصود، ومر أيضا استعراض أهم دقائق صياغتها، وما تسربلت به من الفنون البلاغية، وبقي أن أذكر بلاغة موقعها في سياق سورتها من خلال علاقتها بالمقصود الأعظم للسورة.

يقول البقاعي ذاكرا القاعدة العامة التي ترشد إلى سر ارتباط الآيات بعضها ببعض داخل السورة القرآنية: «قال شيخنا أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي المغربي: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلا بين كل آية وسورة»[(١)].

وبناء على هذه القاعدة يمكن القول: إن سورة النساء قد وضعت دستورا للدولة الإسلامية يعمل على الارتقاء بها، في حال الاتزام به، فقد كان «الثلث الأول منها حديثا عن الأسرة وقضاياها، والأسرة هي المجتمع الصغير، والثلثان الباقيان حديث عن الأمة وشئونها، والأمة هي المجتمع الكبير، فمحور السورة كلها العلاقات

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر". (دار الكتاب الإسلامي، د. ت)، ١: ١٨.

الاجتماعية وضرورة إحكامها وتسديدها»[١].

ومن هنا جاءت بلاغة موقع هذه الآية التي نحن بصددها، إذ إنها قد اشتملت على أصلين عظيمين –كما مر– وهما: إرادة الله التخفيف عن عباده، وأن الإنسان مخلوق ضعيف، لولا تقوية الله له بما شرعه من الأحكام التي ترتقي به وما خفف عنه مما قد يثقل عليه.

ثم إن كثيرا من الأحكام الواردة في هذه السورة، قد تعلق بالنساء واليتامى والسفهاء، وهؤلاء جميعا مشهور ضعفهم وقلة حيلتهم، فكانت قوتهم مستمدة من الأحكام التي شرعت للحفاظ على حقوقهم، فجاءت هذه الآية لتبين تلك النقيصة من نقائص الإنسان وهي نقيصة الضعف التي لا يتخلص منها إلا بالالتجاء إلى الله والائتمار بأوامره واجتناب نواهيه، وهي شاملة لجميع بني الإنسان الرجال والنساء على السواء وبهذا بطل «تعليلهم لمنع النساء والصغار من الإرث بالضعف»[٢].

وبهذا تتناسب الآية مع مقصود السورة من جهة، ومع كثير من آيات الأحكام الواردة فيها، إذ تعد تعليلا لها، فكأنها تقول: إن الأحكام جميعا قد شرعت للارتقاء بهذا المخلوق الضعيف وهو الإنسان ذكرا كان أو أنثى، صغيرا كان أو كبيرا.

ثم إن أول آية في السورة قد ذكرت أن الله هو خالق الناس جميعا، فجاءت هذه الآية التي معنا لتبين الحالة التي يلازمها ذلك المخلوق إذا لم يطع الأمر بالتقوى الوارد في أول السورة في قوله تعالى: ﴿يـأيها ٱلناس ٱتقوا ربكم ٱلذى خلقكم من نفس وحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وٱتقوا ٱلله ٱلذى تساءلون بهۦ وٱلأرحام إن ٱلله كان عليكم رقيبا ۝١﴾ [النساء: ١].

(١) محمد الغزالي، "نحو تفسير موضوعي". (ط١، دار نهضة مصر، د. ت)، ١: ٤٧.
(٢) البقاعي، "نظم الدرر". ٥: ٢٥٨.

فكانت هذه الآية براعة مطلع للسورة بأكملها حيث إنها أمرت «الناس بالتقوى لما سيأتي في السورة من الأحكام، والتقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ثم ذكر أنه خلقنا من نفس واحدة وجعل منها زوجها، لأن كثيرا من هذه الأحكام قد شرع لتنظيم العلاقة بين الزوجين، ثم كرر الأمر بتقوى الله الذي يتساءلون به والأرحام»(١).

بلاغة آيات ذكر النقائص في مقام التذكير بحالي الابتلاء والإنعام:

ومن الآيات التي ذكرت نقائص الإنسان في مقام بيان موقفه في حالي الابتلاء والإنعام، قوله تعالى في سورة هود: ﴿ولئن أذقنا ٱلإنسن منا رحمة ثم نزعنها منه إنهۥ ليوس كفور ۝٩ ولئن أذقنه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب ٱلسيات عنى إنهۥ لفرح فخور ۝١٠ إلا ٱلذين صبروا وعملوا ٱلصلحت أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ۝١١﴾ [هود: ٩ - ١١].

«يخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرا، ولم يرج بعد ذلك فرجا. وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة ﴿ليقولن ذهب ٱلسيات عنى إنهۥ لفرح فخور﴾. أي: يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿لإنهۥ لفرح فخور﴾ أي: فرح بما في يده، بطر فخور على غيره. قال الله تعالى: ﴿إلا ٱلذين صبروا﴾ أي: في الشدائد والمكاره، ﴿وعملوا ٱلصلحت﴾ أي: في الرخاء والعافية، ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ أي: بما يصيبهم من الضراء، ﴿وأجر كبير﴾ بما أسلفوه في

(١) ينظر الصعيدي عبد المتعال، "النظم الفني في القرآن". ١: ٧٦.

زمن الرخاء»[١].

وتكمن بلاغة هذه الآيات في سياق السورة في أنها تعد تعليلا لما كان من الأمم السالفة من إعراض عن الإيمان ومن تكذيب لرسلهم، وأنهم استحقوا العذاب بما جبلوا عليه، وتسلية للرسول بسبب ما يلقاه من تكذيب قومه له، ومعاداتهم إياه وذلك لأن الإنسان قد جبل على الصفات الذميمة كاليأس والكفران والفرح والافتخار، ولا نجاة له من هذه النقائص إلا بالإيمان المستلزم للصبر وعمل الصالحات.

وقد تضافرت في هذه الآيات عدة فنون بلاغية لتأكيد تلك الحقائق المصورة لطبيعة النفس البشرية في جميع أحوالها، فنجد امتزاج الشرط بالقسم، وتآزرهما مع (إن واللام) وصيغ المبالغة، والطباق، واصطفاء الألفاظ ذات الظلال والإيحاءات، والاستعارات والكنايات وغيرها من الفنون البلاغية التي عملت جميعا على تأكيد حقيقة نقص النفس البشرية المجبولة على المادية وحب الحاضر من الدنيا.

فتعريف لفظ (الإنسان) ب (أل) دال على الاستغراق ومفيد للعموم إيماء إلى كون ذلك الخلق (اليأس والكفران والفرح والافتخار) مركوزا في طبائع الناس وسجاياهم إلا من ردته الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح، وألزمته الطريق المستقيم، ويرجح هذا العموم، كون الاستثناء متصلا في قوله: ﴿إلا ٱلذين صبروا وعملوا ٱلصلحت أولـٰئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾[٢].

وهذا النمط التعبيري والقالب البنائي من الحكم على عام، بحكم، ثم استثناء طائفة

(١) أبي الفداء بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٤: ٣٠٩.

(٢) ينظر ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق عبد السلام عبد الشافي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ٣: ١٥٣.

منه، قد كان نمطا تعبيريا شائعا في حديث القرآن عن نقائص الإنسان، وله دلالة على أن الإنسان قد جبل على النقص وكما جاء في أول آية في هذا الحديث القرآني ﴿وخلق ٱلإنسن ضعيفا﴾، إلا من استمد العون من الله بالإيمان وعمل الصالحات.

فنجد هذا القالب البنائي قد تكرر في قوله تعالى: ﴿إن ٱلإنسن خلق هلوعا ﴿١٩﴾ إذا مسه ٱلشر جزوعا ﴿٢٠﴾ وَإذا مسه ٱلخير منوعا ﴿٢١﴾ إلا ٱلمصلين ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وٱلعصر ﴿١﴾ إن ٱلإنسن لفى خسر ﴿٢﴾ إلا ٱلذين ءامنوا وعملوا ٱلصلحت﴾.

وقد امتزج الشرط والقسم في بناء الآيتين، للدلالة على قطعية ويقينية الحقيقة الواردة فيهما، أو لمجابهة إنكار المنكرين، فمن عادة الإنسان عدم الإقرار بنقصه، فالقسم يفيد التأكيد، والشرط يفيد توقف أمر على أمر ففيه معنى الملازمة أو الترتب وامتزاج القسم والشرط هنا قد دل على تأكيد الترتب في أحوال الإنسان الواردة في الآيتين.

فاللام في (لئن) في قوله تعالى: ﴿ولئن أذقنا ٱلإنسن﴾، هي اللام الموطئة للقسم دخلت على أداة الشرط (إن)، والتقدير والله لئن... و (أذقنا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط و (نا) فاعل و(الإنسان) مفعول و (رحمة) مفعول ثان، وجملة إنه ليئوس كفور، مكونة من (إن واسمها واللام المزحلقة وخبرها يئوس وكفور خبر ثان)، وهي جواب القسم أغنت عن ذكر جواب الشرط، ولذا فقد وجب تأكيدها بـ(إن واللام)، وكان بناء الكلام على القسم لتقدمه مما يزيده تأكيدا، وكان الشرط حينئذ مقسما عليه، وهذا ما قرره النحاة حيث قيل: «إذا تقدم القسم على كلمات الشرط، فاعتبار القسم أولى، لتقوي القسم بالتصدر الذي هو أصله، وضعف الشرط

بالتوسط»[١].

كما قيل: «إنه إذا اجتمع في كلام واحد شرط وقسم استغني بجواب أحدهما عن جواب الآخر... وإن أخر الشرط استغني في أكثر الكلام عن جوابه بجواب القسم»[٢].

وفي حديث القرآن عن نقائص الإنسان آيات أخرى في سورة فصلت تضمنت هذا القالب التركيبي الذي اجتمع فيه الشرط والقسم فاستغني بجواب القسم عن جواب الشرط وذلك في قوله تعالى: ﴿لا يسم ٱلإنسن من دعاء ٱلخير وَإِن مسه ٱلشر فيوس قنوط ﴿٤٩﴾ ولئن أذقنه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن ٱلساعة قايمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عندهۥ للحسنى فلننبئن ٱلذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴿٥٠﴾ وَإِذا أنعمنا على ٱلإنسن أعرض ونا بجانبهۦ وَإِذا مسه ٱلشر فذو دعاء عريض ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٤٩ - ٥١].

فقد جاء هذا القالب التركيبي والنمط التعبيري في قوله تعالى: ﴿ولئن أذقنه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى﴾ ... وفي قوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربى إن لى عندهۥ للحسنى﴾ ولهذا دلالة على تأكيد الخبر الوارد في هذا القالب.

وأساليب الشرط –على اختلاف أدواتها–، وأنواع المؤكدات، قد كانت سمة غالبة على الأبنية والتراكيب في حديث القرآن عن نقائص الإنسان، بغية إثبات كونها حقيقة راسخة، أو مجابهة لإنكار المنكرين.

(١) ابن الحاجب، "شرح الرضي على الكافية". تحقيق يوسف حسن عمر، (ليبيا: جامعة قار يونس، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م)، ٤: ٤٥٨.

(٢) ينظر ابن مالك، "شرح الكافية الشافية". تحقيق عبد المنعم هريدي، (ط١، مكة المكرمة: د. ت)، ٢: ٨٨٩.

ومن بلاغة التصوير في هذه الآيات، ما ورد من استعارة الإذاقة للملابسة أو الإعطاء سواء في وقوعها على الرحمة في قوله: ﴿ولئن أذقنا ٱلإنسن منا رحمة﴾، أو وقوعها على النعماء في قوله: ﴿ولئن أذقنه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾، استعارة تصريحية تبعية شبه فيها الإيصال أو الإعطاء أو الملابسة بالإذاقة بجامع الإدراك في كل، ثم اشتق من الإذاقة فعل أذاق المسند إلى (نا) للدلالة على أنها فضل من الله وأن الله يريد الخير لعباده.

وقد أفادت هذه الاستعارة الدلالة على أن الإنسان يحصل منه اليأس والكفران ثم البطر والافتخار بأدنى ما يصيبه من النعمة أو الضر، فالإذاقة أدنى ما يحصل به الطعم، وفيه مبالغة في ذمه والتعجيب من حاله.

وكذلك في لفظ (مس) في قوله تعالى: بعد ضراء مسته ليقولن، استعارة للمس لأول الملاقاة، ففيه دلالة على وهن تلك الإصابة من الضراء.

وقد تكون الاستعارة –في أذقنا– مكنية، بتشبيه الرحمة والنعماء بمطعوم مشتهى، ثم يحذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإذاقة، وتفيد الاستعارة حينئذ الدلالة على شغف النفس الإنسانية بمختلف النعم التي يغدق الله عليها بها.

وفي قوله تعالى: ﴿ثم نزعنها منه﴾، استعارة تصريحية أيضا، حيث استعار النزع للمنع والحرمان بجامع الإذهاب فيهما، وتفيد الاستعارة الدلالة على شدة تعلق الإنسان بما لديه حتى إنه لينتزع منه انتزاعا، فـ«النون والزاء والعين أصل صحيح يدل على قلع شيء. ونزعت الشيء من مكانه نزعا»[1].

ومن دقة التعبير القرآني، أنه جعل متعلق الفعل (منه) حرف الجر (من) دون

(١) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة". مادة نزع.

غيره فلم يقل نزعناها عنه، وذلك لأن حرف الجر (من) يفيد معنى التعليل[١]، ففيه إشارة إلى سبب النزع، وهو أنه كان بسبب فعل ذلك الإنسان، أو أنه بسبب شؤمه[٢].

فالحسنات تكون من الله، والسيئات تكون من بني الإنسان قال تعالى في سورة النساء: ﴿ما أصابك من حسنة فمن ٱلله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلنك للناس رسولا وكفى بٱلله شهيدا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩].

ويؤيد هذا صياغة الآيات التي معنا، حيث تضافرت فيها بعض الأحوال التركيبية لتثبت أن الخير من الله والشر من الإنسان، ومن ذلك افتتاح التعبير عن الحالين الذين يعتريان الإنسان: حال الضر بعد النعمة، ﴿ولئن أذقنا ٱلإنسن منا رحمة ثم نزعنها منه﴾ وحال النعمة بعد الضر، ﴿ولئن أذقنه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب ٱلسيات عنى﴾، بذكر إذاقة الرحمة في الآية الأولى، مسندة إلى الله وبتقديم الجار والمجرور (منا) على (رحمة) فقال: (منا رحمة) والأصل (رحمة منا) إشارة إلى كونها فضلا منه سبحانه، وبذكر الجار والمجرور (منه) بعد النزع إشارة إلى سببه، وبذكر إذاقة النعماء في الآية الثانية، مسندة إلى الله كذلك، وبإضافة المس إلى الضراء بعد ضراء مسته، وبعدم إسناد المس إلى الله كالإذاقة، هذا كله يدل على أن الله يريد الخير بعباده، وأنه لا يصيبهم شر إلا بما قدمت أيديهم.

ويؤيد هذا أيضا المجاز المرسل في لفظ (رحمة) فقد فسروها بالرزق، والرخاء

(١) ينظر ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق مازن المبارك، (ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م)، ٤٢١.

(٢) ينظر الشهاب الخفاجي، "حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي". (بيروت: دار صادر، د. ت)، ٥: ٧٦.

وسعة العيش والنعمة[1]، وكل هذه التفسيرات مسببة عن رحمة الله بعباده، فقد أطلق السبب وأراد المسبب على سبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية، وفائدة المجاز الإشارة إلى أن كل ما يتقلب فيه الإنسان من نعم فإنما هو بفضل من الله ورحمة منه.

ومن بلاغة التصوير أيضا في هذه الآيات المباركات، التعبير عن المؤمنين بعبارة ﴿ٱلذين صبروا﴾ فلم يقل ﴿إلا ٱلذين ءامنوا وعملوا ٱلصلحت﴾ مثلما ورد في مواضع أخرى كسورة العصر مثلا، وإن كانت سورة العصر قد نبهت –في آخرها– على ضرورة التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فالصبر أيضا معتبر.

ولكن البيان القرآني في الآيات التي معنا آثر التعبير بعبارة ﴿ٱلذين صبروا﴾ دون المؤمنين، لأن المقام مقام مقابلة بين صنفين من البشر، صنف ينقاد لأهوائه وغرائزه وينسى خالقه والمنعم عليه، فييأس ويكفر عند الشدة، ويفرح ويفخر عند الرخاء، وصنف يتشبث بالحبل الواصل بينه وبين ربه، ويجاهد نفسه ليطهرها من وحل النقص الذي جبلت عليه، وليخلصها من نقائص فطرتها، فيصبر عند الشدائد، ويشكر عند المباهج.

يقول الرازي معلقا على هذه الآيات مبينا المقابلة بين الصنفين من البشر: «حاصل الكلام أنه تعالى بين أن الكافر عند البلاء لا يكون من الصابرين، وعند الفوز بالنعماء لا يكون من الشاكرين. ثم لما قرر ذلك قال: ﴿إلا ٱلذين صبروا وعملوا ٱلصلحت﴾ والمراد منه ضد ما تقدم فقوله: إلا الذين صبروا المراد منه أن يكون عند البلاء من الصابرين، وقوله: ﴿وعملوا ٱلصلحت﴾ المراد منه أن يكون

(١) ينظر الزجاج، "معاني القرآن". تحقيق عبد الجليل شلبي، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، ٣: ٤١؛ وينظر الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق أحمد شاكر، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)، ١٥: ٢٥٥؛ وينظر البغوي، "معالم التنزيل". ٢: ٤٤١.

عند الراحة والخير من الشاكرين»[١].

وعلل الطيبي إيثار التعبير بالكناية دون التصريح بقوله: «وقلت: قد دل عطف قوله: ﴿وعملوا ٱلصلحت﴾ على ﴿صبروا﴾ على أن المراد بالصبر: الإيمان؛ لأنها ضميمته، ودل الصبر على أن المراد بالأعمال الصالحات: الشكر؛ لأنه قرينته، على ما روي: «الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر»، ولأن الاستثناء من الكلام السابق يقتضيه، لأن المصنف حمل الاستثناء على الاتصال، يعني: شأن الإنسان وموجب جبلته: أنه إذا أصاب الضراء بعد السراء لم يصبر –وإليه الإشارة بقوله: «من غير صبر ولا تسليم»–، وإذا انقلبت هذه الحالة لم يشكر –وهو المراد من قوله: «شغله الفرح والفخر عن الشكر»–، ثم استثني من العام: المؤمنون، وإنما وضع ﴿ٱلذين ءامنوا وعملوا ٱلصلحت﴾ موضع «المؤمنين» كناية ليصرح بهذا المعنى»[٢].

ومعلوم أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أبلغ من التصريح كما قرر ذلك الإمام عبد القاهر وهو يعلل ذلك بقوله: «تفسير هذا: أن ليس المعنى إذا قلنا: «إن الكناية أبلغ من التصريح»، أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وآكد وأشد. فليست المزية في قولهم: «جم الرماد»، أنه دل على قرى أكثر، بل المعنى إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابا هو أشد، وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق»[٣].

(١) الرازي، "مفاتيح الغيب التفسير الكبير". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ١٧: ٣٢٣.

(٢) الطيبي، "فتوح الغيب". (ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م)، ٨: ٢٧.

(٣) ينظر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شاكر، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م)، ١: ٧١.

فالشيخ عبد القاهر يربط في الكناية بين ظاهر اللفظ واستنباط الفكر[1]، مما يكون له أبلغ الأثر في إثبات المعنى وتأكيده، فالتعبير عن المؤمنين بعبارة ﴿ٱلذين صبروا﴾ إثبات للإيمان بدليل ما كان من الصبر والعمل الصالح، هذا مع تحقيق المقابلة مع ما سبقه.

وقد تضمنت الآيات عددا من صور الطباق والمقابلة، منها ما مر من المقابلة بين الكافرين والمؤمنين، ومنها المقابلة بين حالي الإنسان: حال الشدة بعد النعمة، وحال النعمة بعد الشدة، وقد أفادت المقابلة بين هذين الحالين الدلالة على أن هذا الصنف من البشر الذي ييأس ويكفر عند الشدة، ويفرح ويفخر عند الرخاء، صنف قد بلغ الغاية في النقص وسوء الطبع، فإنه في جميع أحواله –على اختلافها– لا يأتي بخير ففي الشدة قانط، وفي الرخاء مغتر متطاول على غيره.

ويدل على استواء الحالين –عنده– الطباق بين (نعماء وضراء).

ومن دقة التعبير القرآني، أنه ذكر النعمة بلفظ (نعماء) وذكر الضر بلفظ (ضراء) وذلك لأن هذين اللفظين يشهدان على قبيح فعل ذلك الإنسان، إذ النعماء: نعمة يظهر أثرها على صاحبها، والضراء: ضر يظهر أثره على صاحبه كذلك[2].

ومن بلاغة التعبير القرآني في حديثه عن نقائص الإنسان كثرة الإتيان بصيغ المبالغة بأوزانها المختلفة كوزن فعول ووزن فعل كما في الآيات التي معنا فقد جاء فيها لفظ (يئوس وكفور وفخور وفرح) وهي جميعا محولة عن اسم الفاعل فالأصل يائس، وكافر وفاخر وفارح.

---

(١) ينظر محمد إبراهيم شادي، "شرح دلائل الإعجاز". (ط٢، المنصورة، مصر: دار اليقين، ٢٠١٣م)، ١: ١٢٨.

(٢) ينظر الواحدي، "التفسير البسيط". (ط١، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ)، ١١: ٣٥٩ وما بعدها.

ولكن التعبير القرآني آثر صيغ المبالغة لأن «صيغة: فاعل التي هي وزن اسم الفاعل من الثلاثي... لا تدل دلالة صريحة... على قوة، ولا ضعف، ولا كثرة، ولا قلة في المعنى المجرد... بخلاف صيغة المبالغة فإنها تدل بنصها وصيغتها الصريحة على الكثرة والمبالغة... في المعنى المجرد. ولهذا تسمى: صيغة مبالغة، ومن ثم كان الذي يستخدم صيغة فاعل يرمي إلى بيان أمرين: المعنى المجرد مطلقا، وصاحبه، دون اهتمام ببيان درجة المعنى؛ قوة وضعفا، وكثرة وقلة. بخلاف الذي يستخدم صيغة المبالغة؛ فإنه يقصد إلى الأمرين مزيدا عليهما بيان الدرجة، كثرة وقوة»(١).

فالتعبير القرآني آثر صيغ المبالغة في حديثه عن نقائص الإنسان للدلالة على أنه قد بلغ الغاية في النقص، وأنه قد استحق الذم.

فقد وردت صيغة فعول في صفات: يئوس، كفور، فخور، ظلوم، جهول، عجول، قتور، قنوط، هلوع، جزوع، منوع، كنود.

وكانت الغلبة لصفة كفور فقد وردت ست مرات في قوله تعالى في سورة هود: ﴿ولئن أذقنا ٱلإنسن منا رحمة ثم نزعنها منه إنهۥ ليـوس كفور﴾

وفي قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذا مسكم ٱلضر فى ٱلبحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجىكم إلى ٱلبر أعرضتم وكان ٱلإنسن كفورا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وهو ٱلذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن ٱلإنسن لكفور ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٦].

وفي قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَإِنا إذا أذقنا ٱلإنسن منا رحمة فرح بها وَإِن تصبهم سيئةٌۢ بما قدمت أيديهم فإن ٱلإنسن كفور ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٨].

وفي سورة الزخرف: ﴿وجعلوا لهۥ من عبادهۦ جزءا إن ٱلإنسن لكفور

(١) ينظر عباس حسن، "النحو الوافي". (ط١٥، دار المعارف، د. ت)، ٣: ٢٥٧ وما بعدها.

مبين ﴿١٥﴾ [الزخرف: ١٥].

وفي سورة الإنسان: ﴿إنا هدينه ٱلسبيل إما شاكرا وَإما كفورا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣].

ويلحظ أنها وردت في جميع مقامات ذكر نقائص الإنسان فقد وردت في مقام الإنعام والابتلاء كما في سور: هود، والإسراء، والشورى، ووردت في مقام الدعوة إلى التوحيد وإثبات البعث كما في سورتي: الحج والزخرف، وفي مقام خلق الإنسان كما في سورة الإنسان.

ثم إن التعبير القرآني قد عمل على تصعيد ذلك الذم، فلم يذكر صفة كفور بصيغة المبالغة فحسب، بل إنه ذكر الكفر في صيغة تعجيب بعد دعاء وارد على أساليب العرب، حيث دعا عليه باللعنة، ثم ذكره بحقارة أصله الداعي لعدم الكفر، وذلك في سورة عبس في قوله تعالى: ﴿قتل ٱلإنسن ما أكفره ﴿١٧﴾ من أى شىء خلقه ﴿١٨﴾ من نطفة خلقه فقدره ﴿١٩﴾ ثم ٱلسبيل يسره ﴿٢٠﴾ ثم أماته فأقبره ﴿٢١﴾ ثم إذا شاء أنشره ﴿٢٢﴾ كلا لما يقض ما أمره ﴿٢٣﴾﴾ [عبس: ١٧ - ٢٣].

«قتل الإنسان دعاء عليه، وهي من أشنع دعواتهم، لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها. وما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله، ولا ترى أسلوبا أغلظ منه، ولا أخشن مسا، ولا أدل على سخط، ولا أبعد شوطا في المذمة، مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للائمة على قصر متنه ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه، إلى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول النعم وفروعها، وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات إلى ما يتقلب فيه وإلى ما يجب عليه من القيام بالشكر»[1].

فهذه العبارة قد انطوت على ذم شديد موجع، هذا مع إيجازها إيجاز قصر،

(١) الزمخشري، "الكشاف". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٤: ٧٠٣.

حيث يمكن حملها على التعجيب أو التوبيخ أو غير ذلك من معان، حتى وصفت بأنها من جوامع الكلم القرآنية فلم يسمع قبلها مثلها في معناها(١).

وقد وردت في صيغة الخبر ﴿قتل ٱلإنسن﴾ مرادا به الدعاء، وهو أبلغ لدلالته على تحقق الوقوع، وفيه دلالة على شدة الغضب والسخط.

وورد الاستفهام في ﴿ما أكفره﴾ وفي ﴿من أى شىء خلقه﴾ توبيخا له في الأول، وتقريرا في الثاني.

وفي آية أخرى من حديث القرآن عن نقائص الإنسان، في مقام الحديث عن الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ممتزجا بالحديث عن الإنعام بعد الابتلاء، ذكر الكفر بصيغة المصدر مضافا إلى ضمير الكافر بعد أن أمر بالتمتع به أمرا بمعنى التهديد، ثم أتبع بجملة تبين سوء مصيره وتعلل قلة تمتعه، وذلك في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَإِذا مس ٱلإنسن ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحب ٱلنار ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨].

«﴿قل﴾ تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله ﴿تمتع بكفرك قليلا﴾ أي تمتعا قليلا أو زمانا قليلا ﴿إنك من أصحب ٱلنار﴾ أي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام، وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الإقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته»(٢).

(١) ينظر ابن عاشور، "التحرير والتنوير". ٣٠: ١٢١.

(٢) أبي السعود، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ٧: ٢٤٥.

فهكذا نجد أن نقيصة (كفور)، قد جاءت في حديث القرآن عن نقائص الإنسان في غير صورة، فجاءت في صيغة المبالغة على وزن فعول ست مرات، وفي صيغة المبالغة فعال في قوله تعالى في سورة إبراهيم في مقام ذكر الإنعام: ﴿وءاتىكم من كل ما سألتموه وَإِن تعدوا نعمت ٱلله لا تحصوها إن ٱلإنسن لظلوم كفار ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولعل ورود نقيصة الكفر في هذه الآية في صيغة فعال وهي أبلغ وأدل على شدة الكفر من غيرها لما فيها من التضعيف، قد كان لورود معنى كثرة النعم التي تستعصي على الإحصاء المدلول عليه بأسلوب الشرط في قوله: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ولذا فقد جمع إلى الكفر نقيصة الظلم إذ المقام مقام امتنان بكثرة الإنعام، وأكد إثبات النقيصتين بصيغ المبالغة وبـ(إن واللام).

وجاءت كذلك في صيغة المصدر متعلقة بفعل أمر بمعنى التهديد، كما جاءت في صيغة التعجب أو التعجيب في قوله: ما أكفره ولكل سياق يقتضيه.

ولعل القرآن قد اهتم بذكر هذه النقيصة (كفور) في مواضع كثيرة من حديثه عن نقائص الإنسان، وصرف القول فيها تصريفا حيث وردت بصيغ مختلفة، لأنها من أخطر النقائص إذ إنها تخرج الإنسان من دائرة الإنسانية وتدخله في زمرة الشياطين ويؤيد هذا أن القرآن قد أثبت هذه النقيصة (كفور) للشيطان في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿إن ٱلمبذرين كانوا إخون ٱلشيطين وكان ٱلشيطن لربهۦ كفورا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧].

ثم إن هذا التركيب الذي ترد فيه (كان) تركيب شائع في حديث القرآن عن نقائص الإنسان قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ويدع ٱلإنسن بٱلشر دعاءهۥ بٱلخير وكان ٱلإنسن عجولا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١].

وفيها أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذا مسكم ٱلضر فى ٱلبحر ضل من تدعون إلا

إياه فلما نجىكم إلى ٱلبر أعرضتم وكان ٱلإنسن كفورا ﴿٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧].

وفيها كذلك قوله تعالى: ﴿قل لو أنتم تملكون خزاين رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية ٱلإنفاق وكان ٱلإنسن قتورا ﴿١٠٠﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وفي سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا فى هذا ٱلقرءان للناس من كل مثل وكان ٱلإنسن أكثر شىء جدلا ﴿٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

وقد اختلف العلماء في تحديد دلالة (كان) في هذا التركيب إن كانت بمعنى الانقطاع، أو بمعنى الدوام والاستمرار، أو أنها تدل على الوجود في الزمان الماضي مع الإبهام، وقد رجح الزركشي القول الأخير فقال: «والصواب من هذه المقالات مقالة الزمخشري وأنها تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي لا غير ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى ولا بقائه بل إن أفاد الكلام شيئا من ذلك كان لدليل آخر»[(١)].

ثم يأخذ في تعداد بعض استعمالاتها في القرآن الكريم، فيذكر منها ورودها في إثبات صفة ذاتية لله عز وجل، فيجعلها حينئذ دالة على إثبات وجود الصفة وأنها لا تفارق الذات، فجعلها بمعنى الأزل، وإذا وردت للإخبار عن صفة فعلية، فالمراد حينئذ الدلالة على قدرته عليها في الأزل، أو الدلالة على تحقق نسبتها إليه، أو الدلالة على ابتداء الفعل، وإذا وردت للإخبار عن صفات الآدميين، فالمراد حينئذ الدلالة على أنها غريزة وطبيعة مركوزة في نفسه[(٢)].

(١) أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، "البرهان في علوم القرآن". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه)، ١: ١٢٢.

(٢) الزركشي، "البرهان في علوم القرآن". ٤: ١٢٣ وما بعدها.

فالزركشي يجعلها بمعنى الماضي ويرجع ما يستفاد من التركيب من معاني الدوام وغيرها إلى السياق والقرائن.

واتكاء على ما ذكره من أن معناها الدلالة على الغريزة والطبع عند مجيئها للإخبار عن صفات الآدميين، يمكن القول: إن (كان) التي وردت في عدة تركيبات للدلالة على نقائص الإنسان، قد كانت بمعنى الفعل (خلق) فجميع هذه التركيبات توافق قوله تعالى في سورة النساء عند حديثه عن أول نقيصة إنسانية: ﴿يريد ٱلله أن يخفف عنكم وخلق ٱلإنسن ضعيفا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

فلا مانع من أن يقال: إن المعنى: وخلق الإنسان عجولا، وخلق الإنسان كفورا، وخلق الإنسان قتورا، وخلق الإنسان أكثر شيء جدلا، للدلالة على ملازمة هذه الصفات الذميمة للإنسان من أول خلقه، أو أنها جزء من كينونته.

ويؤيد هذا قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿خلق ٱلإنسن من عجل سأوريكم ءايتى فلا تستعجلون ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧].

يقول الفراء: «وقوله: ﴿خلق ٱلإنسن من عجل﴾ وعلى عجل كأنك قلت: بنيته وخلقته من العجلة وعلى العجلة»(١).

«قال أهل اللغة: المعنى خلقت العجلة من الإنسان، وحقيقته يدل، عليها، ﴿وكان ٱلإنسن عجولا ﴾۞ وإنما خوطبت العرب بما تعقل، والعرب، تقول للذي يكثر الشيء خلقت منه، كما تقول: أنت من لعب، وخلقت من لعب، نريد المبالغة بوصفه باللعب»(٢).

(١) الفراء، "معاني القرآن". تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرون، (ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت)، ٢: ٢٠٣.

(٢) الزجاج، "معاني القرآن". ٣: ٣٩٢.

في قوله تعالى: ﴿وخلق ٱلإنسن ضعيفا﴾، نجده في سورة المعارج في قوله تعالى: ﴿إن ٱلإنسن خلق هلوعا ﴿١٩﴾ إذا مسه ٱلشر جزوعا ﴿٢٠﴾ وَإذا مسه ٱلخير منوعا ﴿٢١﴾ إلا ٱلمصلين ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢].

«يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿إن ٱلإنسن خلق هلوعا﴾ ثم فسره بقوله: ﴿إذا مسه ٱلشر جزوعا﴾ أي: إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير.

﴿وَإذا مسه ٱلخير منوعا﴾ أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها»(١).

فألفاظ (هلوعا، وجزوعا، ومنوعا) قد انتصبت على الحال، للدلالة على أن هذه النقائص جميعا قد كانت مما جبل عليه الإنسان ولا سبيل إلى الخلاص منها إلا بالالتجاء إلى الله واستمداد المعونة منه، ويدل على هذا الاستثناء الوارد بعد هذه الصفات في قوله تعالى: ﴿إلا ٱلمصلين ﴿٢٢﴾﴾.

ومعاني هذه الألفاظ أيضا قد وردت في حديث القرآن عن نقائص الإنسان بألفاظ مختلفة فالجزوع هو هو اليئوس القنوط، وكذلك المنوع هو هو الفرح الفخور وهو الكفور والكنود.

ومما تجدر الإشارة إليه أن سورة الإسراء قد شملت عدة نقائص من نقائص الإنسان، وشملت أيضا تركيبا خاصا من تراكيب التعبير عن هذه النقائص، الدالة على كونها طبعا وسجية إنسانية، فما السر وراء ذلك؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بالرجوع إلى المقصود الأعظم للسورة اعتمادا على ما ذكره العلماء، واعتمادا على إمعان التدبر في معانيها وأغراضها.

(١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم". ٨: ٢٢٦.

وقد اختلف في مقصودها بين قائل بأنه الإقبال على الله عز وجل، وقائل بأنه إثبات حادثة الإسراء[1]، وغير ذلك مما قالوه، وإن كنت أرجح ما ذكره البقاعي حيث قال: «ومقصودها: الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض»[2]. وذلك، لأن السورة قد ذكرت قصة بني إسرائيل وما كان من هزيمتهم، وما كان من نصرهم فهؤلاء القوم كانوا من أسوأ النماذج البشرية التي تتجلى فيها نقائص الإنسان في أوضح صورها، في أوقات الإنعام أو الابتلاء، ولذا فقد عنيت السورة بذكر هذه النقائص تحذيرا منها ودعوة إلى الالتجاء إلى الله تزكية للنفس البشرية من مثالبها وعيوبها التي طبعت عليها.

ويؤيد هذا عناية السورة بالحديث عن حالي الإيمان والكفر، وبيان لآيتي الليل والنهار، وكأنهما استعارتان للإيمان والكفر، وعن الربوبية والعبودية وأن الله وحده هو المستحق للعبادة وساقت من الأدلة على الوحدانية ما يستلزم الإقبال على الله وتوحيده والخضوع له خضوعا كاملا، ولا يخرج الإنسان من دائرة العبودية ويهوي به في مهاوي الضلال، ويدخله في جنس الشياطين، إلا نقائصه التي جبل عليها، ولذا فقد أكثرت السورة من ذكرها –في التركيب الدال على تأصلها فيه– تنبيها على التوقي منها، خصوصا نقائص (عجول، كفور، قتور).

بلاغة آيات ذكر النقائص في مقام الدعوة إلى التوحيد والاحتجاج للبعث:

ومن النقائص التي ذكرها القرآن في مقام الحديث عن توحيد الله وبيان الأدلة عليه، والاستدلال على البعث، ممتزجا ببيان حقارة أصل خلق الإنسان، نقيصة (خصيم) التي وردت في سورتين: سورة النحل في قوله تعالى: ﴿خلق ٱلإنسن من

(١) ينظر الصعيدي، "النظم الفني في القرآن". (القاهرة: مكتبة الآداب، د. ت)، ١: ١٧٦.

(٢) ينظر البقاعي، "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور". (ط١، الرياض: دار المعارف، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م)، ٢: ٢٣٠.

نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٤﴾ [النحل: ٤].

وسورة يس في قوله تعالى: ﴿أولم ير ٱلإنسن أنا خلقنه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧٧].

فقد جاءت هذه النقيصة على وزن (فعيل) وهو من أوزان المبالغة ومعناه أنه كثير الخصومة ووجه كونها نقيصة بالقياس إلى ما كان عليه من الضعف والحقارة والخسة، وأنها –المخاصمة– تكون منه مع ربه خالقه الذي يستحق أن يعبد وحده وألا يشرك به.

ومن بلاغة التعبير القرآني ودقته، الإتيان بالفاء ثم الحرف الدال على المفاجأة في قوله: ﴿فإذا هو﴾ لأنهما يدلان على التعجيب من الحال التي صار إليها الإنسان، حيث بدر منه خلاف ما كان متوقعا، فقد كان المتوقع من الإنسان إذا أدرك أن الله هو خالقه من تلك النطفة الحقيرة، أن يعبده وأن يخضع له، ولكن الذي كان أنه أنكر وحدانيته وأشرك به وجادل لإثبات شركه وإبطال الوحدانية فلو جاء التعبير من غير الفاء وإذا الفجائية كأن يكون مثلا فكان خصيما... لما أفاد المقارنة بين الحالين، والتعجيب من الصيرورة غير المتوقعة.

وبين قوله: ﴿من نطفة﴾، وقوله ﴿خصيم مبين﴾ مقابلة، إذ الأول أدنى حالات الإنسان، والثاني أعلى وأرقى حالاته، وفائدتها التعجيب من صيرورة الأول إلى الثاني بجمعهما في حيز واحد.

وقد اشتملت الآيتان على إيجاز الحذف، حيث اقتصرت على ذكر أول مرحلة من مراحل خلق الإنسان وأتبعتها بذكر القمة التي وصل إليها من كونه خصيما مبينا، لبيان التعجيب من تلك الصيرورة، وقد دلت الآيات الواردة في سورة المؤمنون على ذلك الحذف قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا ٱلإنسن من سللة من طين ﴿١٢﴾ ثم جعلنه نطفة فى قرار مكين ﴿١٣﴾ ثم خلقنا ٱلنطفة علقة فخلقنا ٱلعلقة مضغة فخلقنا

ٱلمضغة عظما فكسونا ٱلعظم لحما ثم أنشأنه خلقا ءاخر فتبارك ٱلله أحسن ٱلخلقين ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

ودلت عليه أيضا آيات من سورة السجدة قال تعالى:

﴿ٱلذى أحسن كل شىء خلقهۥ وبدأ خلق ٱلإنسن من طين ﴿٧﴾ ثم جعل نسلهۥ من سللة من ماء مهين ﴿٨﴾ ثم سوىه ونفخ فيه من روحهۦ وجعل لكم ٱلسمع وٱلأبصر وٱلأفدة قليلا ما تشكرون ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

والسر في أنه ذكر في سورتي النحل ويس مرحلة الخلق من نطفة ولم يذكر مرحلة الخلق من تراب أو من طين، أنه يشهد الإنسان على نفسه بما يعرفه ويعلمه علم اليقين، والإنسان يدرك تماما خلقه من نطفة، لأن نسله يكون من ذلك وهو شاهد عليه لا يمكنه المكابرة والإنكار.

وبعد، فقد كانت تلك أبرز الخصائص البلاغية والسمات التركيبية التي غلبت على حديث القرآن عن نقائص الإنسان، لا تخلو آية من آياته من جميعها أو من أكثرها، وفي المذكور كفاية وإغناء عن المتروك.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد،

فقد كان هذا بحثا تحت عنوان (حديث القرآن عن نقائص الإنسان، دراسة بلاغية)، انتهيت من دراسته إلى عدة نتائج أورد أهمها فيما يأتي:

١- اتسام حديث القرآن عن نقائص الإنسان بالتلاحم والتماسك النصي، اتساقا وانسجاما، إذ اكتملت فيه معايير النصية من سبك وحبك وغيرها، فقد اشتمل على أنواع من الإحالة، والتكرير الذي كثر كثرة ملحوظة خصوصا لنقيصة (كفور)، كما اشتمل على علاقات الإجمال والتفصيل على النحو الذي مر بيانه، وعلى بناء لاحق على سابق، وغير ذلك مما تم رصده من مظاهر الترابط، هذا كله في صياغة محكمة تتواءم مع السياق الواردة فيه

٢- جمع حديث القرآن عن نقائص الإنسان بين براعة استهلال، حيث اشتملت أول آية منه على نقيصة الضعف، ومرد جميع النقائص إليها، فناسب ذكرها في أول الحديث المقصود منه، وحسن ختام حيث اشتملت آخر آية منه على نقيصة الخسران المتبوعة باستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأوجزت القضية أبلغ إيجاز، وأوضحت طريق الخلاص، فكانت خير ختام لهذا الحديث، كما مهدت الآية التي سبقتها لتلك النهاية بعد تأكيدها ما سبقها، وبعد أن أضافت إليه معنى جديدا متسربلا في لفظة فريدة، مما أدى إلى ربط اللاحق بالسابق، على النحو المفصل في موضعه من البحث.

٣- قد تكرر في حديث القرآن عن نقائص الإنسان عدة ألفاظ كلفظ (كفور) و(يئوس) وعدة معان، مع اختلاف يسير في الصياغة يؤدي إلى إثراء المعنى، وقد جعل الرافعي ذلك التكرار وجها جليلا من وجوه إعجاز القرآن.

٤- اضطلاع جميع آيات حديث القرآن عن نقائص الإنسان بدور هام في

سياق سورها الواردة فيها، إذ ارتبطت كل واحدة منها بالمقصود الأعظم لسورتها تجلى ذلك في آية سورة النساء المشتملة على نقيصة الضعف، حيث ارتبطت بمقصود سورة النساء وهو إحكام العلاقات الاجتماعية من خلال وضع التشريعات اللازمة، فكانت الآية المشتملة على نقيصة الضعف لاشتمالها على أصلين عظيمين هما: إرادة الله التخفيف عن عباده، وكون الإنسان مخلوقا ضعيفا، مرتبطة ارتباطا وثيقا بهذا المقصد، ومن هنا جاءت بلاغة موقع الآية إذ تناسبت مع مقصود السورة من جهة، ومع كثير من آيات الأحكام الواردة فيها، إذ تعد تعليلا لها، فكأنها تقول: إن الأحكام جميعا قد شرعت للارتقاء بهذا المخلوق الضعيف وهو الإنسان ذكرا كان أو أنثى، صغيرا كان أو كبيرا، وتجلت بلاغة موقع آيات حديث القرآن عن نقائص الإنسان في مواضع كثيرة من البحث.

٥- تكررت بعض الأنماط التعبيرية والقوالب التركيبية ذات الدلالات البلاغية في حديث القرآن عن نقائص الإنسان ومن ذلك الحكم على عام، بحكم، ثم استثناء طائفة منه، ويدل هذا النمط التعبيري على أن الإنسان قد جبل على النقص وكما جاء في أول آية في هذا الحديث القرآني ﴿وخلق ٱلإنسـن ضعيفا﴾، إلا من استمد العون من الله بالإيمان وعمل الصالحات، ومن ذلك أيضا امتزاج الشرط والقسم للدلالة على قطعية ويقينية الحقيقة الواردة فيهما، أو لمجابهة إنكار المنكرين، فمن عادة الإنسان عدم الإقرار بنقصه، فالقسم يفيد التأكيد، والشرط يفيد توقف أمر على أمر ففيه معنى الملازمة أو الترتب وامتزاج القسم والشرط قد دل على تأكيد الترتب في أحوال الإنسان، ومن ذلك أيضا التركيب المبدوء بـ(كان) والذي يدل – كما يقول الزركشي– إذا اقترن بصفات الآدميين على كونها غريزة فيهم،

ولذا فقد شاع في حديث القرآن عن نقائص الإنسان، وقد رجح البحث أن يكون الفعل (كان) المقترن بنقيصة من نقائص الإنسان، بمعنى الفعل (خلق)، للدلالة على ملازمة هذه الصفات الذميمة للإنسان من أول خلقه، أو أنها جزء من كينونته، ونمط آخر من أنماط التعبير عن نقائص الإنسان، وهو ذكرها منتصبة على الحال، للدلالة على أن هذه النقائص جميعا قد كانت مما جبل عليه الإنسان ولا سبيل إلى الخلاص منها إلا بالالتجاء إلى الله واستمداد المعونة منه.

٦- وأساليب الشرط –على اختلاف أدواتها–، وأنواع المؤكدات، قد كانت سمة غالبة على الأبنية والتراكيب في حديث القرآن عن نقائص الإنسان، بغية إثبات كونها حقيقة راسخة، أو مجابهة لإنكار المنكرين.

٧- كما كثر من الأساليب البيانية الاستعارة –تجسيما للمعنويات– والكناية –تأكيدا لإثبات المعنى بإثبات دليله–، والمجاز المرسل لمزيد من الظلال والإيحاءات.

٨- ومن فنون البديع كثر الطباق لما له من دلالة على الجمع بين المتضادين، فأفاد في سياق ذكر نقائص الإنسان أن هذا المخلوق قد بلغ الغاية في النقص، لجمعه بين الأحوال السيئة المتضادة فإنه لا يبارح النقص في جميع أحواله.

٩- كثرة الإتيان بصيغ المبالغة خصوصا صيغة فعول التي كثرت كثرة ملحوظة في نقيصة (كفور و يئوس)، حيث وردت (كفور) ست مرات في سياقات مختلفة، وذلك لما لها من دلالة –بنصها وصياغتها– على معنى الكثرة والقوة فقد دلت على إفراط الإنسان في نقائصه ومجاوزته الحد فيها، وكذلك صيغة فعال التي وردت في نقيصة (كفار) وما فيها من زيادة في المبالغة ناجمة عن التضعيف في صياغتها، فالتعبير القرآني آثر صيغ المبالغة في حديثه عن نقائص الإنسان للدلالة على أنه قد بلغ الغاية في النقص، وأنه قد استحق الذم.

١٠- قد جاءت نقيصة (كفور)، في حديث القرآن عن نقائص الإنسان في غير صورة، فجاءت في صيغة المبالغة على وزن فعول ست مرات، وفي صيغة المبالغة فعال، وجاءت كذلك في صيغة المصدر متعلقة بفعل أمر بمعنى التهديد، كما جاءت في صيغة التعجب أو التعجيب في قوله: ما أكفره ولكل سياق يقتضيه.

ولعل القرآن قد اهتم بذكر هذه النقيصة (كفور) في مواضع كثيرة من حديثه عن نقائص الإنسان، وصرف القول فيها تصريفا حيث وردت بصيغ مختلفة، لأنها من أخطر النقائص إذ إنها تخرج الإنسان من دائرة الإنسانية وتدخله في زمرة الشياطين ويؤيد هذا أن القرآن قد أثبت هذه النقيصة (كفور) للشيطان في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿إن ٱلمبذرين كانوا إخون ٱلشيطين وكان ٱلشيطن لربهۦ كفورا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧].

١١- اشتملت سورة الإسراء على عدة نقائص من نقائص الإنسان كما انفردت بتركيب خاص وهو التركيب المبني على الفعل (كان) الدال على كون النقيصة غريزة وسجية، وأرجع البحث ذلك إلى عناية السورة بذكر الربوبية والعبودية وأن هذه النقائص مما يجب التوقي منه حتى لا يخرج الإنسان من دائرة العبودية فهي ناقضة لكمالها، هادمة لبنائها.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم.

الأصفهاني، الراغب. "تفسير الراغب الأصفهاني". تحقيق عادل بن علي الشدي. (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).

الأندلسي، أبي حيان. "البحر المحيط". تحقيق صدقي جميل. (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

ابن الأثير. "المثل السائر". تحقيق محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ).

ابن الحاجب. "شرح الرضي على الكافية". تحقيق يوسف حسن عمر. (ليبيا: جامعة قار يونس، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).

ابن عاشور، طاهر. "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

ابن عطية. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق عبد السلام عبد الشافي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

ابن فارس. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام هارون. (دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

ابن كثير، أبي الفداء. "تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي بن محمد سلامة. (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

ابن مالك. "شرح الكافية الشافية". تحقيق عبد المنعم هريدي. (ط١، مكة المكرمة، د. ت).

ابن هشام. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق مازن المبارك. (ط٦، دمشق:

دار الفكر، ١٩٨٥م).

أبو زهرة، محمد. "زهرة التفاسير". (دار الفكر العربي، د. ت).

أبي السعود. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).

البغوي. "معالم التنزيل في تفسير القرآن". تحقيق عبد الرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

البقاعي. "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور". (ط١، الرياض: دار المعارف، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م).

البقاعي. "نظم الدرر". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت).

الجرجاني. "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شاكر. (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).

حسن، عباس. "النحو الوافي". (ط١٥، دار المعارف، د. ت).

الحلبي، السمين. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق د. أحمد الخراط. (دمشق: دار القلم، د. ت).

خطابي، محمد. "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م).

الخفاجي، الشهاب. "حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي". (دار صادر بيروت، د. ت).

الخولي، أمين. "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب". (ط١، دار المعرفة، ١٩٦١م).

الرازي، فخر الدين. "مفاتيح الغيب التفسير الكبير". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الرافعي. "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية". (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م).

الزجاج. "معاني القرآن". تحقيق عبد الجليل شلبي. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. "البرهان في علوم القرآن". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه).

الزمخشري. "الكشاف". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

شادي، محمد إبراهيم. "شرح دلائل الإعجاز". (ط٢، المنصورة، مصر: دار اليقين، ٢٠١٣م).

الصعيدي، عبد المتعال. "بغية الإيضاح". (مكتبة الآداب، ١٩٩٩م).

الصعيدي، عبد المتعال. "النظم الفني في القرآن". (القاهرة: مكتبة الآداب، د. ت).

الطبري. "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق أحمد شاكر. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

الطيبي. "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي على الكشاف". (ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

عبد الرحمن، عائشة. "التفسير البياني". (ط٧، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م).

العكبري. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق علي محمد البجاوي. (عيسى البابي

الحلبي وشركاه، د. ت).

الغزالي، محمد. "نحو تفسير موضوعي". (ط١، دار نهضة مصر، د. ت).

الفراء. "معاني القرآن". تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرون. (ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت).

القنوجي، صديق خان. "فتح البيان في مقاصد القرآن". تحقيق عبد الله الأنصاري. (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

مصلوح، سعد. "في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة". (ط١، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، ٢٠٠٣م).

الواحدي. "التفسير البسيط". (ط١، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).

Bibliography

Abd al-Raḥmān, ‘Ā’ishah. "al-Tafsīr al-Bayānī". (Dār al-Ma‘ārif, 1962).

Abī al-Sa‘ūd. "Irshād al-‘Aql al-Salīm ilá Mazāyā al-Kitāb al-Karīm". (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī).

Abū Zahrah, Muḥammad. "Zahrat al-Tafāsīr". (Dār al-Fikr al-‘Arabī).

al-Andalusī, Abū Ḥayyān. "al-Baḥr al-Muḥīṭ". (Dār al-Fikr, 1420 AH).

al-Aṣfahānī, al-Rāghib. "Tafsīr al-Rāghib al-Aṣfahānī". (Dār al-Waṭan, 1424 AH, 2003).

al-Baghawī. "Ma‘ālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qur’ān". (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-Arabī, 1420 AH).

al-Biqā‘ī. "Maṣā‘id al-Naẓar lil-Ishrāf ‘alá Maqāṣid al-Suwar". (Dār al-Ma‘ārif, 1408 AH, 1987).

al-Biqā‘ī. "Naẓm al-Durar". (Dār al-Kitāb al-Islāmī).

al-Farrā’. "Ma‘ānī al-Qur’ān". (Dār al-Miṣrīyah lil-Ta’līf wa-al-Tarjamah).

al-Ghazālī, Muḥammad. "Naḥwa Tafsīr Mawḍū‘ī". (Dār Nahḍat Miṣr).

al-Ḥalabī, al-Samīn. "al-Durr al-Maṣūn fī ‘Ulūm al-Kitāb al-Maknūn". (Dār al-Qalam).

al-Jurjānī. "Dalā’il al-I‘jāz". (Maṭba‘at al-Madanī, 1413 AH, 1992) .

al-Khafājī, al-Shihāb. "Ḥāshiyat al-Shihāb al-Khafājī ‘alá Tafsīr al-Bayḍāwī". (Dār Ṣādir).

al-Khūlī, Amīn. "Manāhij Tajdīd fī al-Naḥw wa-al-Balāghah wa-al-Tafsīr wa-al-Adab". (Dār al-Ma‘rifah, 1961).

al-Qannawjī, Ṣiddīq Khān. "Fatḥu al-Bayān fī Maqāṣid al-Qur’ān". (al-Maktabah al-‘Aṣriyyah, 1412 AH-1992) .

al-Rāfi‘ī. "I‘jāz al-Qur’ān wa-al-Balāghah al-Nabawīyah". (Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1425 AH, 2005).

al-Rāzī, Fakhr al-Dīn. "Mafātīḥ al-Ghaib al-Tafsīr al-Kabīr". (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1420 AH).

al-Ṣa‘īdī, ‘Abd al-Muta‘āl. "al-Nuẓum al-Fannī fī al-Qur’ān". (Maktabat al-Ādāb).

al-Ṣa‘īdī, ‘Abd al-Muta‘āl. "Bughyat al-Īḍāḥ". (Maktabat al-Ādāb, 1999).

al-Ṭabarī. "Jāmi‘ al-Bayān fī Ta’wīl al-Qur’ān". (Mu’assasat al-Risālah, 1420 AH, 2000).

al-Ṭayyibī. "Fattūḥ al-Ghaib fī al-Kashf ‘an Qinā‘ al-Raib Ḥāshiyat al-Ṭayyibī ‘alá al-Kashshāf". (1st edition, Dubai International Holy Quran Award, 1434 AH, 2013).

al-ʻUkbarī. "al-Tibyān fī Iʻrāb al-Qurʼān ."
al-Wāḥidī. "al-Tafsīr al-Basīṭ". (1st edition, Deanship of Scientific Research, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1430 AH)
al-Zajjāj. "Maʻānī al-Qurʼān". (ʻĀlam al-Kutub, 1408 AH, 1988).
al-Zamakhsharī. "al-Kashshāf". (Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1407 AH).
al-Zarkashī, Abū ʻAbdillāh Badr al-Dīn Muḥammad ibn ʻAbdillāh ibn Bahādur. "al-Burhān fī ʻUlūm al-Qurʼān". (Dār Iḥyāʼ al-Kutub al-ʻArabīyah, 1376 AH-1957).
Ḥasan, ʻAbbās. "al-Naḥw al-Wāfī". (Dār al-Maʻārif).
Ibn al-Athīr. "al-Mathal al-Sāʼir". (al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 1420 AH).
Ibn al-Ḥājib. "Sharḥ al-Raḍī ʻalá al-Kāfiyah". (Jāmiʻat Qār Yūnus, 1395 AH, 1975).
Ibn ʻĀshūr, Ṭāhir. "al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr". (al-Dār al-Tūnisīyah, 1984 AH).
Ibn ʻAṭīyah. "al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz". (Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1422 AH).
Ibn Fāris. "Muʻjam Maqāyīs al-Lughah". (Dār al-Fikr, 1399 AH, 1979).
Ibn Kathīr, Abū al-Fidāʼ. "Tafsīr al-Qurʼān al-ʻAẓīm". (Dār Ṭaybah, 1420 AH, 1999).
Ibn Mālik. "Sharḥ al-Kāfiyah al-Shāfiyah."
Khaṭṭābī, Muḥammad. "Lisānīyāt al-Naṣṣ Madkhal ilá Insijām al-Khiṭāb". (al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, 1991).
Maṣlūḥ, Saʻd. "fī al-Balāghah al-ʻArabīyah wa-al-Uslūbiyāt al-Lisānīyah Āfāq Jadīdah". (Scientific Publication Council, Kuwait University, 2003).
Shādī, Muḥammad Ibrāhīm. "Sharḥ Dalāʼil al-Iʻjāz". (Dār al-Yaqīn, 2013).

١٣٨
1961

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

part 2

Oct - Dec
2024

Issue
14